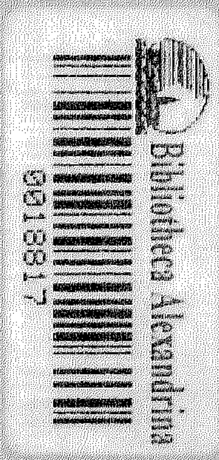
فكر جديد •• فكر جديد •• فكر جديد •• فكر جديد •• فكر جديد •• فكر جديد •• فكر

الإسلام والعولمة

د. أحمد عبد الرحمن — أ. جمال البنا
د. حمدى مرزوق — د. رفعت سيد العوضى
د. سيد الدسوقى — د. سيف الدين عبد الفتاح
أ. عادل حسين — د. عبد الوهاب المسيرى
د. على جمعه — محمد ابراهيم مبروك
د. محمد السيد الجليند — د. محمد عبد المنعم البرى
د. محمد عمارة — د. محمد مورو



الدار القومية العربية

الإسلام والعولمة

محمد إبراهيم مبروك

رقم الإيداع: ٣٠٢٠ / ٩٩

الترقيم الدولى: ISBN

977 - 19 - 8060 - 2

الإسلام والعولمة

د. أحمد عبد الرحمن

د. حمدى مرزوق

د. سيد الدسوقى

أ. عادل حسين

د. على جمعه

د. محمد السيد الجليند

د. محمد عمارة

أ. جمال البنا

د. رفعت سيد العوضى

د. سيف الدين عبد الفتاح

د. عبد الوهاب المسيرى

محمد ابراهيم مبروك

د. محمد عبد المنعم البرى

د. محمد مورو



الإهداء ...

محمد إبراهيم مبروك

مقدمة

موقفى الثابت هو تقديم الأطروحات التجديدية بدلاً من تكرار الدعوة اللا مجدى إلى التجديد وانطلاقاً من ذلك فإن هدفى الدائم هو دفع الفكر الإسلامى فى أتون الصراعات الفكرية العالمية لبلورة الرؤية الإسلامية التجديدية لمختلف الجوانب التى تفرضها التحديات المعاصرة بدلاً من الركود فى القضايا التقليدية التى قتلت بحثاً أو الانزلاق إلى الجدل السفسطائى المدمر حول إسلام أو كفر الأمة.

لقد شغل العقل الإسلامى بالصدامات السياسية عن تطوير مشروعه الفكرى الحضارى وعلى الرغم من وجود بعض الاجتهادات فى هذا الاتجاه لكنها لاترقى لطور التنظير لبناء نسق فكرى متكامل يمكن دمجه داخل المشروع الحضارى المنوط العقل الإسلامى بتقديمه، فيجب الاعتراف بأن الفكر الإسلامى الحالى قاصر الآن عن مواجهة تحديات المرحلة والاستجابة لمتطلباتها. فنحن نحتاج إلى فكر إسلامى جديد قادر على استيعاب المتغيرات الحضارية والرؤى والتصورات الغازية وتقديم البديل الحضارى المستخلص من تفاعل الحقائق الإسلامية مع الواقع المعيش.

وقد يمثل واقع العولمة الذى تفجَّر منذ أواخر الثمانينات خير صدمة لإيقاظ هذا العقل ودفعه إلى التجديد والنهوض لاضطلاعه بمسئوليته فى مواجهة مخاطر العولمة والدفاع عن هوية الأمة من الذوبان.

كان هذا هو ماأفكر فيه عندما دعوت إلى مؤتمر الإسلام و العولمة

(الذى ننشر نصوصه فى هذا الكتاب) فوجدت استجابة كبيرة من رموز الفكر الإسلامى وأساتذة الجامعات، والطائفة التى شاركت فى المؤتمر هى الطائفة التى استطعنا ضبط مواعيد حضورها مع زمن المؤتمر الذى انعقد بأحد الأحزاب المصرية يومى التاسع والعشرين والثلاثين من يونيو عام ١٩٩٨ وهناك طائفة أخرى من تلك الرموز تعذر حضورها بسبب ارتباطاتها الزمنية فى هذين اليومين ومن بين هؤلاء المفكر الإسلامى الكبير الأستاذ جمال البنا [١] الذى تعذر حضوره بسبب السفر وأناب عن ذلك بتقديم ورقته الفكرية الإسلامية (دين العالمية لا العولمة) التى ألحقناها بالمؤتمر فى هذا الكتاب.

وكان الهدف من الحلقة النقاشية التى ضممناها إلى المؤتمر فى الكتاب[٢] هو دفع الفكر الإسلامى إلى خطوات أكبر فى نفس الاتجاه؛ ولهذا جاء موضوعها عن الخطوط الأولى لمواجهة العولمة فإذا كان الموقف الإسلامى الذى تحدد فى هذا المؤتمر هو المواجهة فكان لابد من تحديد الخطوط الأولى لتلك المواجهة لتكون المسئولية الكبرى المترتبة على ذلك هى تقديم البديل الإسلامى للرؤية الحضارية التى تعمل آليات العولمة على فرضها على العالم أجمع، وهى المسئولية التى يناط بكل العقول الإسلامية المفكرة القيام بها.

---

(١) الأستاذ جمال البنا مفكر إسلامي له إسهاماته الفكرية التجديدية المتعددة التي نتفق أو نختلف معها دون أن ننكر فضل إسهامه الفكري الكبير في الدفاع عن العقيدة الإسلامية من الفلسفات والأيديولوجيات الغربية الغازية في العديد من كتبه مع تحفظنا فى الوقت نفسه علي الكثير من آرائه الخطيرة.

(٢) عقدت فى المركز العربى للصحافة (مجلة الغد العربى)

ولاأنفى أن بعض الكلمات التى جاءت فى المؤتمر عبرت أفكارها عن قراءة أولى لواقع العولمة ولكن فى الجانب الأكبر بجوار ذلك دراسات ورؤى متعمقة فى تحليل واقع العولمة وكشف الأسباب التى تطورت عنها والمخاطر التى تحملها بل إن بعض هذه الدراسات كشفت عن تنبؤ أصحابها فى دراساتهم وكتبهم السابقة للمتغيرات العالمية التى أدت إلى واقع العولمة هذا ربما قبل العديد من مفكرى الغرب أنفسهم وأذكر فى هذا الصدد على وجه الخصوص كلمة الدكتور عبدالوهاب المسيرى(١).

إن الإسلام بمنظومته الرسالية لايستطيع أن يقف مكتوف الأيدي أمام ما تمارسه العولمة الأمريكية من سحق للشعوب وتحطيم للكينونة الروحية للإنسان. وبعد سقوط الأيديولوجيات الغربية يظل الإسلام الأيديولوجية الوحيدة القادرة علي استنهاض شعوب العالم الفقيرة والمستضعفة وإنقاذها من مظالم العولمة بل وإنقاذ الطبقات الفقيرة والمستضعفة في بلاد الغرب الأمريكى ذاته.

ولكن أمامنا فى سبيل تحقيق ذلك جهوداً كبيرة فلندعوا الله أن يمدنا بالعون ويوفق جهودنا إلى تحقيق الأهداف المرجوة لهذه الأمة.

والله ولى التوفيق

محمد إبراهيم مبروك

مدير المؤتمر والندوة

الجيزة - يناير ١٩٩٩

---

(١) راجع في ذلك المجلد الأول (الإطار النظرى) من موسوعة الدكتور عبدالوهاب المسيري (اليهود واليهودية والصهيونية : نموذج تفسيرى) ذلك المجلد الذي يعد من وجهة نظرنا أهم عمل فكري أنتجه العقل الإسلامي في نقد المنظومة الحضارية الغربية في الربع الأخير من القرن العشرين.

مدخل

العولمة فى الغرب والشرق

تصدير النموذج الأمريكى

مدخل:

العولمة فى الغرب والشرق

منذ أواخر الثمانينات والجدل المتشابك حول العولمة لاينتهى حيث يختلط الموقف الأيديولوجى بالموقف السياسى بالمصالح الاقتصادية بصدد التحليلات الفكرية لحالة التشكُّل السياسى والاقتصادى العالمى التى تصنعها التطورات العالمية المصاحبة للعولمة الآن وتتغلف تلك المصالح السياسية والاقتصادية برطانة اللغة العلمية والتحليل الموضعى.

وفى إطار تلك المواقف المتباينة سنحاول قبل عرض الموقف الإسلامى من القضية الذى جاء فى الكتاب أن نعرض لبعض تلك المواقف وورود الفعل العالمية التى أثارتها قضية العولمة فمن وجهات النظر الأمريكية السافرة فى التحيز لعولمة المنظومة الثقافية الأمريكية نقرأ لدافايد روشكوبف أستاذا لعلاقات الدولية بجامعة كولومبيا المسئول السابق فى حكومة كلينتون قوله : يذهب العديد من المراقبين إلى أن استغلال الفرص التى خلفتها الثورة المعلوماتية الكونية للترويج للثقافة الأمريكية على حساب الثقافات الأخرى هوشىء بغيض، لكن هذا النوع من النسبية أمر خطر بقدر ماهو خاطئ. إذ إن الثقافة الأمريكية تختلف جوهرياً عن الثقافات ابنة بيئتها فى العديد من المجتمعات الأخرى. فالثقافة الأمريكية هى مزيج من المؤثرات والمناهج من مختلف أنحاء العالم . وقد انصهرت ـ عن وعى

فى حالات عديدة ـ وسط واقع اجتماعى يسمح بازدهار الحريات الشخصية والثقـافات. وإذ يدرك الأمريـكيون ذلك، فـإنهم يجـب ألا يخجلـوا من القيام بماهو فى مصلحتهم الأقتصادية والسياسية والأمنية ـ وبالتالى بماهو فى مصـلحة العـالم ككل . ويتـعين على الولايـات المتحدة ألا تـتردد فى الترويج لقيمهـا. وفى سعيهم لأن يكونوا مهذبين أو سياسـيين، ينبغى على الأمريكيين ألا ينكروا حقيقة أنه بين كل الأمم التى عرفها تاريخ العالم، فإن أمتهم هى ا لأكثر عدلاً، والأكثر تسامحاً، والأكثر حرصاً على إعادة تقييم الذات وتحسينها، وهى النموذج الأفضل للمستقبل .

ويتعـين على الأمريـكيين أن يروجوا لـرؤيتهم للـعالم. لأن الفـشل فى القيام بذلك أو تبنى موقف «عش ودع غيرك يـعيش» يعنيان التنحى فهل تبنى قادة أجانب لنماذج تشجع النزعـة الانفصالية والصدوع الثقافية التى تقوض الأستقرار يمثل تهديداً لمصالـح الولايات المتحدة وللسلام الإقليمي، وللأسواق الأمريكية ولقدرة الولايات المتحدة على القيادة؟ إن الإجابة هى نعـم بالتأكـيد. فالنـسبيـة ليست سـوى قناع يـختفى خـلفه هؤلاء الـذين يتجنبون إمعان النظر، وسواء قبـل الأمر يكيون كل حجج هنتجتون أم لا، فإنهم يجب أن يدركوا أنـه كلما اتسعت فجوات القيم الثقـافية فى العالم كان مـن المرجح أكثـر أن تتولـد النزاعـات إذ أن الشرط الحيـوى اللازم للحصول علـى المكاسب المثلى من التكـامل الكونى يتمثل فى الـتمييز بين السمات الثقـافية التى يمكن ويجب التـسامح معها ـ بل وتشجيـعها حقاً ـ وبين تلك التى تمثل الشروخ والتى ستصبح صدوعاً[١] .

فهذه الرؤية الأمريكية ترفض النسبية الثقافية بما تعنيه من تنوع حضارات

---

(١) فى مديح الإمبريالية الثقافية ـ الثقافة العالمية (الكويت) ـ عدد نوفمبر ص ٣٥، ٤٠

وترفض التسامح مع التميزات الثقافية التى تصنع استقلالاً حضارياً وتعتبر ذلك خطراً على مصالح الولايات المتحدة والأسواق الأمريكية. وبلغة أخرى أكثر حذراً من هذه اللغة الإمبريالية التى تحدث بها روشكويف يمضى دانى رودريك أستاذ كرس الاقتصاد السياسى فى جامعة هارفارد فى نفس الإتجاه فيقول:

«يجب ألا نفزع من العولمة ، كما يجب ألاّ نأخذها بخفه، فالعولمةتفتح آفاقاً وتتيح فرصاً هائلة أمام أولئك الذين لديهم المهارة والقدرة والمؤهلات التى تمكنهم من الحركة والأزدهار فى الأسواق العالمية.

كذلك يمكن أن تساعد العولمة الدول الفقيرة على الإفلات من قبضة الفقر وهى ليست قيداً على الاستقلال الوطنى بالقدر الذى تفترضه الأحاديث والمناقشات الشعبية . غير أن للعولمة، من الجانب الآخر، ضغوطاً لخفض أجور العمال غير الفنيين فى الدول الصناعية المتقدمة، وتفاقم الإحساس بتناقص الأمان الأقتصادى ، وتعرض أشكالاً من النظم المجتمعية المرعية للخطر، وتضعف مظلات الضمان الاجتماعي.

فثمة نوعان من الخطر يمكن أن يترتبا على عدم الحذر من بعض النتائج الاجتاعية للعولمة، أو لها وأكثرها وضوحاً ، هو حدوث ردّ فعل سياسى حاد ضد التجارة . وقد كشف ترشيح باتريك بوكانان للرئاسة الأمريكية عن الحزب الجمهوري،ودعايته فى الأنتخابات التمهيدية، كشف عن حقيقة أن السياسة الحمائية يمكن أن تروج بسهولة، خاصة فى زمان يتملك فيه القلق شرائح سكانية واسعة فى المجتمع الأمريكى بسبب العولمة والشىء نفسه يمكن أن يقال عن النفوذ الكبير الذى يتمتع به فلا ديمير جيرينوفسكى فى روسيا ، وجان مارى لوبان فى فرنسا وهو نفوذ تحقق - وإن جزئياً -

استجابة لإثارة المخاوف من النتائج المرتقبة للعولمة . وقد يذهب الاقتصاديون إلى أن السياسات الحمائية لاتجدى ، أن مصدر الشكوى تحتاج إلى علاج مختلف ولكن حجج المثقفين لا تكسب العقول والقلوب إلا إذا قدمت حلولاً ملموسة. وإقامة الحواجز فى وجه التجارة ، مهما اختلفت الآراء حولها، لها ميزة كونها حلاً ملموساً.

ربما يلقى أشباه بوكانان الهزيمة في المستقبل، كماهزم بوكانان نفسه بفضل الإدراك المنطقى البسيط للجمهور الأمريكي. ولكن حتى لو حدث هذا ، فإن خطراً آخر يبقي، ربما كان أشد من الأول، ذلك هو تراكم الآثار الجانبية للعولمة التى يمكن أن تفضى إلى تشكيلة جديدة من الانقسامات الطبقية بين الذين يستطيعون أن يكسبوا ويزدهروا فى الاقتصاد المعولم وأولئك الذين لايستطيعون، وبين الذين يستطيعون أن يتواءموا مع قيم العولمة وأولئك الذين يفضلون ألاّ يتواءموا ، وبين الذين يستطيعون أن ينوّعوا اختياراتهم ليتلافوا مخاطر العولمة وأولئك الذين لايستطيعون وهذه توقعات لاتبعث على الأطمئنان، حتى بالنسبة للأفراد الذين سيحققون كسباً شخصياً ، لأن الانقسامات الاجتماعية، حين تزداد حدة، تكون خطراً على الجميع وواضح أن الرجل لايهتم كثيراً بالمضار الإجتماعية والطبقية الناجمة عن العولمة إلا عندما تغدو ـ نتيجة تراكمها ـ خطراً يهدد أولئك الذين يستطيعون أن يكسبوا ويزدهروا فى الاقتصاد المعولم[١] .

أما ميشيل كلوغ فيبرز مظهرين متناقضين للعولمة بالنسبة للأمريكيين حيث يذهب إلى أنه «هناك أطروحة تحدد مظهرين للعولمة:

المظهر الأول : ليس للعولمة على الولايات المتحدة الآثار نفسها التى

---

(١) المعقول واللامعقول فى الجدل الدائر حول العولمة العدد السابق من الثقافة العالمية ص ١٠٢، ١٠٣

على البلاد الأخـري، لسبب أساسى هو أن الولايات المتحدة هي، فى آن معا، البلد الأكثر انفتاحا على العالم والأكثر حضوراً به.

المظهر الثانى: هـو الحضوَر الأمريكى على الصعيد العالمى . فمن المؤكد أن العولمة عـملت كثيرا عـلى انتشارا وانغـراس الولايات ا لمتحدة بـالعالم وبالفعل ،ففى كثير من البلدان يتوافق مصطلح العولمة مع معنى الأمركة.

هذان المظهران المتناقضان يخلقان مـسافة بين تحديد العولمـة فى أمريكا وخارجها . فبالنسبة لغالبية الأمريكيين، تعد العولمة شيئا ماثلا لديهم، على حين أنه بـالنسبة لـلآخرين، يتـم النظر للـعولمة على أنـها قادمة لـهم من أمريكا. فنـحن نعتقد أننا «مـغزوون» بواسطة العالم .، فـى حين أن العالم يعتقد أنـنا نغزوه. ولنذهـب إلى أبـعد من ذلك، فالعولمة ربمـا تكون بصدد جعل بقـية العالم شبـيها بعض الشيء بـأمريكا ، خيرا أو شـرا . لكن ذلك لايدل علـى أننا سنـكون بشكل واع مـؤسسى العـولمة إلا لبعـض الوقت، فالعولمة ستكون أكثر فائدة للولايات المتحدة منها لبقية العالم، ولايوجد المشـروع الأمريكـى للعـولمة أو لأمركة الـعالم. وبمـعنى أوضـح، فكلـما تقدمت العولمة للأمام صارت أقل تأمركا»[١].

أما لسـترثارو (أبرز أعضاء هـيئة إعداد تقاريـر لجنة البنوك والـعملات بمجلـس النواب الأمريـكى) فيتـحدث بلهـجة أكثر صـراحة عن القـواعد الجديدة التى تحكم الصراع الاقتصادى الآن فيقول:

ومن أجل نجاح الاقتصـاد العالمى المفتوح، فإن كل بلد ينـبغى أن يشعر بأن لـديه فرصة مـتكافـئة للفـوز ـ بما يعـرف على أنـه «فرصة عادلـة» فى

(١) أربع أطروحات عن العولمة العدد السابق من الثقافة العالمية

أمريكا، «ومعاملة بالمثل» فى أوروبا «وفرصة متكافئة، وليس نتائج متكافئة» فى اليابان . ولكن إذا أريد أن تبدو المباراة الاقتصادية عادلة، فإنه ينبغى أن يكون هناك بوجه عام تماثل فى الضرائب والقوانين المنظمة وأساليب عمل القطاع الخاص . كذلك ينبغى التنسيق بين «المتغيرات الاقتصادية فى طريقة الحياة»، مثل المزيات الإضافية. فالمؤسسات الألمانية لايمكن أن تعطى الأمهات الجدد إجازة لمدة ثلاث سنوات لرعاية أطفالهن إلا إذا كانت بقيةالعالم على استعداد لأن تجاريها فى كرمها.

وفى اقتصاد عالمى مفتوح تكون الحدود الدنيا العالية للأجور فى أوروبا مهددة بالحدود الدنيا المنخفضة للأجور فى الولايات المتحدة. كما أن الإجازات الأوروبية الطويلة (ثلاثون يوما فى ألمانيا) يصعب استمرارها على ضوء الإجازات القصيرة فى البلدان المطلة على المحيط الهادى (أحد عشر يوما فى اليابان). فالإنتاج ببساطة ينتقل إلى تلك الأجزاء من العالم التى لايتعين فيها دفع تلك المزايا، وبذلك يفرض إلغاء المزايا.

وفى اقتصاد عالمى مفتوح فإن كل فرد، وليس مجرد العمال الأمريكيين غير المهرة، ينبغى أن يكون مستعدا لقبول تعادل سعر عوامل الإنتاج. فالرأسمالى الذى لديه استعداد العمل مقابل أدنى معدل عائد فى العالم يحدد أعلى معدل عائد لكل من عداه. وإذا كان الرأسمالى اليابانى سيقبل عائد مقداره ٣ فى المائة فإن الأمريكيين لا يمكن أن يحصلوا على ١٥ فى المائة.

والنجاح يرغم قواعد اللعبة على التغير، حتى وإن لم يكن هناك رسميا من يكتب مجموعة جديدة من القواعد. وفى هذه الحالة فإن قواعدا اللعبة

الجديدة ستكتب بصورة غير رسمية فى أوروبا . فمن يسيطرون على أكبر سوق فى العالم هم الذين يضعون القواعد. تلك هى الحال كما كانت دائما فى الماضى فعندما كانت فى الولايات المتحدة أكبر الأسواق قامت هى بوضع القواعد. وعندما يتفاوض الأوروبيون حول القواعد لسوقهم الداخلية المشتركة، ويقررون كيف يرتبط الغرباء بتلك السوق ، فإنهم سيقررون فى الواقع قواعد للتجارة العالمية فى القرن القادم. وسيطبق الآخرون بالتدريج قواعد أوروبا بوصفها نظام التشغيل العالمى على أساس الأمر الواقع».

إن ثارو يرى أن قواعد اللعبة الاقتصادية ستنتقل إلى يد أوروبا الموحدة التى ستكون أعظم قوة اقتصادية بقيادة القاطرة الألمانية فى العقود القادمة وعلى الرغم من اتفاق المحللين العالميين على التقدم الاقتصادى والتكنولجى للألمان الذى يذهب إليه ثارو ولكن القلق هو على التهديدات التى تمثلها العولمة على المظلة الاجتماعية داخل ألمانيا نفسها والتى تميزت بها لفترة طويلة ولذلك فإن الألمانيان هانس بيترمارتين وهارالدشومان شديدا القلق بهذا الصدد فهما يذهبان إلى أنه «مع نمو العولمة يزداد تركز الثروة، وتتسع الفروق بين البشر والدول اتساعا لامثيل له. فالمؤلفان يشيران إلى أن ٣٥٨ملياردير فى العالم يمتلكون ثروة تضاهى ما يملكه ٢,٥ مليار من سكان المعمورة ،أى مايزيد قليلا على نصف سكان العالم. وأن هناك ٢٠٪ من دول العالم تستحوذ على ٨٥٪ من الناتج العالمى الإجمالى، وعلى ٨٤٪ من التجارة العالمية، ويمتلك سكانها ٨٥٪ من مجموع المدخرات العالمية . وهذا التفاوت القائم بين الدول يوازيه تفاوت آخر

داخل كل دولة ، حيث تستأثر قلة من السكان بالشطر الأعظم من الدخل الوطنى والثروة القومية، فى حين تعيش أغلبية السكان على الهامش. وهذا التفاوت الشاسع فى توزيع الدخل والثروة سواء على الصعيد العالمى أو على الصعيد المحلى ، لم يعد بالأمر المزعج ،. بل بات فى رأى منظرى العولمة مطلوبا فى حلبة التنافس العالمى الضاري[1].

ويشير الكاتبان إلى تآكل النموذج الألمانى القائم على جانب كبير من الحماية الاجتماعية للعمال بسبب إجبار رأس المال الحكومات على تقديم تنازلات فيقولان: «إن أهمية رأس المال الجديدة تقتلع دولا بمجملها، وماتقوم عليه هذه الدول من أنظمة اجتماعية، ومن الجذور . فمن ناحية هى تهدد، مرة هنا ومرة هناك ، بهروب رأس المال لكى تجبر الحكومات على تقديم تنازلات ضريبية عظيمة ، ومنح تبلغ المليارات أو إقامة مشروعات بنية تحتية لاتكلفها شيئاً. وحيثما لايجدى التهديد نفعا فإنها تساعد نفسها بوضع خطط ضريبية على مستوى عال جداً: فالأرباح لاتعلن إلا فى تلك البلدان التى يكون فيها معدل الضريبة منخفضا فعلا. وهكذا انخفضت على المستوى العالمى النسبة التى يشارك بها أصحاب رؤوس المال والثروة فى تمويل المشاريع الحكومية.أما فى الناحية الأخرى فإن الموجهين للتدفقات العالمية لرأس المال، يخفضون باستمرار مستوى أجور عمالهم الدافعين للضرائب الحكومية ، الأمر الذى ترتب عليه انخفاض حصة الأجور من الدخل القومى على المستوى العالمى . هذا ولا توجد دوله بوسعها أن تتخلص ، بمفردها، من هذه الضغوط . أما بالنسبة للنموذج

---

(١) فخ العولمة: ص١١

الألمانى فـإنه ، حسب مـايقوله عـالم الاقتصـاد الأمريكى روديـجر دورن بوش (Ruediger Dornbusch) «سيطبخ ويذوب شحمه بكل معنى الكلمة» فى المنافسة الدولية للشركات عابرة القارات[1].

وأهم مايـكشف عنه هـذان الكاتبان الألمانـيان أن تلك الحالـة من عدم السيطرة ليست ولـيدة التطور التكنولوجى الاقتصادى الـعالمى بقدر ما هى نتيجة حتميـة خلقتها سياسيات رجال الحكم فى الـغرب فيقولان فى ذلك: ورافعوا راية العـولمة، يحاولون بما يختارون من عـبارات وصور، الإيحاء بأن الأمر يتعلق بحدث شبيه بالأحداث الـطبيعية التى لا قدرة لنا على ردها والوقوف بوجـهها، أى أنها نتيـجة حتمية لـتطور تكنولوجـى واقتصادى ليس بوسـعنا إلا الإذعان له. والواقع أن هـذا ليس إلا ثرثرة. فالتـشابكات الاقتصادية ذات الطابع العالمى ليست حدثا طبيعياً بأى حال من الأحوال، إنما هى نـتيجة حتـيمية خلـقتها سـياسة معيـنة بوعى وإرادة . فالحـكومات والبرلمانات هى التى وقعت الاتفاقـيات وسنت القوانين التى ألغت الحدود والحواجز ، التى كـانت تحد من تنقل رؤوس الأموال والسـلع من دولة إلى دولة أخري. فرجالات الحكم فى الدول الصناعية الغربية هم الذين خلقوا، ابتداء مـن تحريرهم المتاجـرة بالعملات الأجنـبية وعبر السـوق الأوروبية المشـتركة، وانـتهاء بالـتوسع المستمـر لاتفاقـية التـجارة العالمـية المسـماة «الجات»بانتظام الحالة التى يعجزون الآن عن معالجتها»[2].

والقلق الـذى تثيره العولمـة فى اليابان قلـق من نوع آخر فليـس مصدره

---

(١) المرجع السابق. ص٣٢.

(٢) المرجع السابق: ص٣٣

التنافس الاقتصادى العالمى من وجهة نظر الكاتبان هاماتا نوبورو وآلان جيلرم ولكن على السيادة على ما يسمياه «البحر المتوسط الأسيوى».

يقول هاماتا نوبورو وآلان جيلرم في مقالهما اليابان هى العالم الآن: «من جانبنا، نحن اليابانيين، لاتهمنا كثيرا مشكلة العولمة، فلدينا اقتصاد كونى و فى القلب من الأقتصاد العالمى وهذا التوجه يتنامى بمرور الأعوام، وبالأخرى فإن مشكلتنا هى فى معرفة أين سيكون«مركز» هذا الاقتصاد (الذى نسميه نقلاً عن بردول «البحر المتوستط الآسيوي»)، فهل سيكون هذا المركز على سواحل الصين أم فى اليابان؟

هذا المتوسط الآسيوي،كما يقال عنه فى الغرب، يمتد بطول ٥٠٠٠ كيلومتر وعرض ٥٠٠ كيلو متر تقريباس، وهو يمتد بمضيق «ملقا» الواصل بين الهند والصين، هذين العملاقين، وشمالا بمضيق تسوجارو . وهذا المتوسط ليس بحرا، ولكنه سلسلة من السهول المائية بمساحات مختلفة، تصلها ببعضها مضائق باتساعات مختلفة، فهى سلسلة من البحار الضيقة لكل منها خصائصه، وسفنه،وتاريخه . ففى المتوسط الآسيوى ، لدينا إلى الغرب كل ا لساحل الصينى بالإقليم البحرى وأربعة موانى بالإضافةإلى هونج كونج، وإلى الشرق، لدينا بحر جاوة والفلبين، وتايوان، وجرز ريو ـ كيوو اليابان»[1].

وبنفس هذا المنظور الاقتصادى يرى الصينيون أن الصين تعود من خلال العولمة لتكون مركز العالم فى العقود الأولى من القرن القادم إذا استمرت معدلات نموها الاقتصادى فى تصاعدها الحالى فكما يقول لاوس:

(١) مجلة الثقافة العالمية (العدد المذكور) ص٥٧.

«بالنسبة لـنا نحن الصينيين فالظـاهرة التى يسميها الغربـيون بالعولمة أو الكـونية لاتـعنى شـيئاً غـير الأهمـية المتـنامـية لآسيا فـى التجـارة العالمـية وبالمحصلة تؤكد وضعها المركزى فى قلب العلاقات الدولية»[1].

وفى أفريقيا فإن جورج تادونكى على الرغم من ذهابه إلا أنه لابديل عن الإلتجاء إلى العولمة بالنسبة إلى القارة السوداء لإخراجها من حالة التهميش الذى تعانيه ولكـنه مع ذلك يرى: «أن عملية إحلال الليبرالـية التى تتوافر لها تكلفة اجتمـاعية لم تتضح جزئيا إلا بشكل متأخر، فـهناك أولا التنظيم السيىء لإعـادة ترتيب أوضاع من فقدوا وظـائفهم Deflates فالمشروعات التى تخصخصت قـامت بفصل العديد من العاملين الذيـن يقومون بإعالة عائـلات .وحدوث هذه الأمـور مع نتائـج تطبـيقات الإجـراءات الأخرى الاقتصادية ، كـخفض الفرنك الأفريقـى عمل على مفاقمـة وضع الإفقار المتزايد .

وبصفة عامة ، ارتفع معدل الإفلات من العدالة. فعدد الأشخاص الذين يعيـشون على الاسـتغلال غيـر القانونـى للسكـان ولموارد الدولة يـرتفع، وعمـليـات الاحتيـال كذلك، وإنـه لأمر ذو دلالـة أن يهاجـم المتـمردون الزائيريـون ويضعوا أيديهـم أولاً على مواقع المنـاجم ويتعجلـون توقيع عقود الاستثمار مع الشركات الأمريكية والأفريقية الجنوبية .

واللـيبرالـية، سباق علـى الكسب الـسهل والـنصابون الـكاميرونـيون يغـيرون على الـعالم. وهم يـطلق علـيهم الـ «فـايمن Faymen» ويخلفون وراءهم الضحايا فى كل مكان فـى جنوب شرق آسيا، والشرق الأوسط،

(١) المرجع السابق: ص٦٠

وأوروبا، وأمريكيا وأفريقيا ذاتها ، محصلين مليارات الدولارات بمناهج جعلتهم متفردين في بلادهم . وهؤلاء المضاربون الذين بدأوا من الصفر يجدون أنفسهم بين عشية وضحاها أصحاب ثروات حقيقية لا يسألون عن مصادرها.. وقد حذرت طبعة من الفانينشيال تايمز المستثمرين العالميين من عصابات الاحتيال النيجيرية. وشبكات الاحتيال تتشابه مع شبكات تجارة المخدرات.

وقد قادت عملية إحلال الليبرالية إلى انخفاظ ملحوظ فى نوعية المنتجات الزراعية فى الريف الأفريقى، كالقهوة ، والكاكاو، والقطن . فبانشغالهم قبل كل شىء بالثراء يبيع المضاربون كل ما يمكنهمه بيعه، بغير تدقيق»[1].

وفى الأمم المتحدة يرى تقرير التنمية البشرية المنشور لحساب برنامجها الإنمائى أن مبادىء الأسواق العالمية الحرة التى يتم الحديث عنها فى تسويغ العولمة تطبق بطريقة انتقائية ولا يتفائل التقرير بوجه عام بالنسبة لآثار العولمة على الدول الفقيرة وكذلك على الطبقات الفقيرة داخل الشعوب الغنية نفسها فيذهب التقرير إلى أنه «فى كل مكان، اقتضت حتمية سياسات التحرير تقليص مشاركة الدولة فى الحياة الوطنية، مما نشأ عنه موجة من تحويل المؤسسات العامة إلى القطاع الخاص ، وأدى ذلك، عموماً إلى خفض الوظائف ، وفى كل مكان، أدى إنفتاح الأسواق المالية إلى الحد من قدرة الحكومات على إدارة حالات العجز - مما دعاها إلى تقليص الإنفاق على الصحة وإعانات الأغذية التى يستفيد منها الفقراء.

---

(١) أفريقيا ليست وحيدة فى العالم ـ الثقافة العالمية ـ العدد المذكور: ص٨٨.

ومن العسير تحديد آثار العولمة على الفقر ، ووفقاً لنظرية التجارة الأساسية فإن الفقراء يستفيدون من تحرير التجارة ، وقد كانت سياسات التحرير مصحوبة فى أحيان كثيرة بمزيد من التفاوت، حيث انخفضت حصة دخول أفقر نسبة ٢٠٪ من السكان، كما فى الحال بالنسبة لعدد من بلدان أمريكا اللاتينية: الأرجنتين ، وشيلى، والجمهورية الدومينيكية، وإكوادور، والمكسيك، وأورغواى، وفى ١٦ بلداً من بلدان أوروبا الشرقية ورابطة الدول المستقلة، وعددها ١٨ بلداً، تدهور توزيع الدخول وزادت معدلات الفقر خلال فترة تحرير السياسات، وفى الصين ، بكل ما بلغته من نمو، فإن الحد من الفقر فى المنطقتين الوسطى والغربية تخلف كثيراً عنه فى المناطق الساحلية التى تعتمد على كثافة التصدير.

واتسم عصر العولمة فى البلدان الصناعية بزيادة فى الدخل عموماً لكنه اتسم أيضاً بارتفاع فى معدلات البطالة والتفاوت، وفى عام ١٩٩٥، كان هناك ٣٤ مليون شخص بدون عمل فى بلدان منظمة التعاون والتنمية فى الميدان الاقتصادى- أى ما يعادل ٧,٥٪ من القوة العاملة - ومنذ عام ١٩٧٩ بلغت البطالة فى الاتحاد الأوربى أكثر من الضعف ، حيث وصلت إلى ١١٪»[١].

أما فى عالمنا العربى فقد نشط العديد من الكتاب والمفكرين الليبراليين فى الدعوة إلى العولمة فى الوقت الذى رأى فيه البعض أن العولمة تمثل إحدى الظواهر التى لم نتتجها نحن بأنفسنا وأن هناك فاصل تاريخى بين عالمنا وعالم المجتمعات المتقدمة فيتعجب الدكتور زكى الميلاد (رئيس تحرير مجلة الكلمة) فيقول: «مع ذلك ترانا ننشغل بالظواهر التى تصلنا من هناك

---

(١) مجلة الإجتهاد ـ العدد ٣٨: ص٧٧، ٧٩

مع أنهـا لا واقع حقيقـى لها فى عالمنـا، وهناك سلسـلة لا تنقطـع من هذه الظواهر فـى مختلف الحقول والميـادين ومن أبرز هذه الظواهـر من حيث الاشتغال والاتساع ومن حيث الاختلال أيضاً، ظاهرة الحداثة التى استغرقنا الحديث عنها لزمن طـويل وقلبنا أشكالها وأزمنتها ومكـوناتها، واتجاهاتها وعلائقها، وأصبح ما يمكن الجزم به أن العالم العربى لم ينجز حداثته، ولم يبلور بشكل متوافق فهمه ورؤيته للحداثة، وقبل استكمال الحديث عن هذه القضـية، طالعـنا الفكـر الأوروبى بمفهـوم آخر هو مفـهوم ما بعـد الحداثة، وهكذا كان من المتوقع أن ينتقل الفكر العربى بنخبه وتياراته نحو الاشتغال بهـذا المفهوم، وإلـى هذا الوقت لا نـعرف ولا ندرك ماذا نـريد من ما بـعد الحداثة، المفهوم الذى بقى غامضاً ومبهماً حـتماً بين المثقفين أنفسهم، وفى دوامة هذا الحديث، فجأة انتقلنا إلى قضـية أخرى ، هى قضية العولمة بحيث أن من الصعوبة معرفة كيف ومتى بدأ هذا الاشتغال بهذا الاتساع المتعاظم فى الفكر العربى، والـطريقة التى تعامل بها العالـم العـربى مع العولمة وكأنه هو الـذى ابتكر هـذا المفهوم وأنجـز شروطه وعـناصره ومكـوناته بعـد هذا الاشتغال الواسع والملفت للنظر لهذه القضية.

ومرة أخرى أتوقع أن يتـكرر الاختلال المنهجى والبنـيوى الذى حصل مع المفاهـيم والظواهر السـابقة، فقيل أن ننـجز رؤيتنا حول الـعولمة وندرك أبعادها الموضوعية فى واقعنا ، ونعرف ماذا نريد منها وكيف نستجيب لها ، ستداهمنا رؤيـة نقدية مختلفة من الـغرب، من قبيل ما بعد العـولمة أو نهاية العولمة[1]، على غرار المقولات السابقة، وسـوف ننجرف فى الحديث عن ما

(١) سوف يلاحظ القارىء أن هناك تـوارد خواطر عجيب كاد يطابق بين هذا النص لـلدكتور ذكى الميلاد ونص الدكتور محمد عمارة فى محاضراته الواردة هنـا مع ملاحظة أن عدد المجلة الذى نقلنا منه نص الدكتور ذكى الميـلاد هو أغسطس ٩٨ بينما ألقـى الدكتور محاضرته ٣٠ يونيـو ٩٨ وهى محاضرة لم تنشر فى أى مكان آخر (فى حدود علمي).

بعد العولمة أو نهاية العولمة إلى أن تصلنا مقولة أخرى من الغرب نفسه وهكذا هو الحال»(١).

ويذكر لليسار العربى أنه وقف موقف الرفض والمواجهة من العولمة ويندد بها فى العديد من الندوات والمقالات حيث يرى الدكتور اسماعيل صبرى عبدالله (أحد أهم رموز الفكر اليسارى) إلى أنه «فى ظل العولمة قد تمكنت الرأسمالية متعدية الجنسيات من الاستغناء - إلى حد كبير - عن بعض المهام الموكولة للدولة القومية منذ نشأتها، فلم تعد الرأسمالية فى حاجة إلى قوات مسلحة ضخمة وقوية، فعهد الفتوح والغزوات والاحتلال والضم قد انتهى. والعبرة اليوم بالقوة الاقتصادية للشركة متعدية الجنسية التى تمكنها من دخول أى دولة ومد نشاطها إلى أنحاء متعددة من العالم، وهى لا تواجه إلا احتمال المنافسة مع شركات من نفس النوع، وكثيراً ما تنتهى المنافسة بين شركتين إلى اندماج Merger أو انتزاع Take over إحداهما السيطرة على الأخرى»(٢).

وفى مقال آخر يكشف الدكتور إسماعيل زيف مقولة انتصار الليبرالية على أثر انهيار الاتحاد السوفيتى فيقول: «قد جبل الناس على القطيعة مع المهزوم والإعجاب بالمنتصر ، وشاع القول أن انهيار الاتحاد السوفيتى دفن الاشتراكية نهائياً كما أنه أثبت انتصار الرأسمالية انتصاراً مطلقاً فلم يبق لنا إلا أن نعوض ما فاتنا بالهرولة نحو أقدام أمريكا وحلف الأطلسى، ووضح أن هذا الموقف أيديولوجى صرف، لأنه لا يستند إلى دراسة موضوعية ونقدية جادة لأسباب سقوط النموذج السوفيتى وللأزمات التى

---

(١) مجلة الكلمة ـ العدد ١٩ ـ ربيع ١٩٩٨م/ ١٤١٩ هـ. ص٧.

(٢) مجلة عالم الفكر ـ العددان الثالث والرابع: ص٤٦٨

تهدد المجتمعات الرأسمالية المتقدمة، ونكرّر مرة أخرى ما كتبناه عدة مرات من أن إقامة نظام رأسمالى متقدم ديموقراطى وبرلمانى فى ظروف اليوم يكاد يكون مستحيلاً، فنشوء وانتشار الرأسمالية الغربية ظاهرة تاريخية جرت فى ظروف تاريخية محددة لا يمكن تكرارها، ويكفى فى هذا المقام أن نذكر أن نجاح الرأسمالية استند بشكل جوهرى كما أوضحنا أعلاه، على نهب أراض جديدة تستوعب الفقراء من أوربا وتحد بذلك من خطر الأزمات الاقتصادية والقلاقل الاجتماعية والانقلابات السياسية ، وكذلك على استنزاف الفائض الاقتصادى من شعوب المستعمرات ، فلا يجوز فصل التجربة الرأسمالية الغربية عن ظاهرة استعمار الغرب لمعظم الأقطار غير الأوروبية التى سبقت الثورة الصناعية بقرنين على الأقل وواكبتها، وما زالت عملية الاستنزاف متجددة دون حاجة إلى احتلال أو قهر، فحكومات العالم الثالث تتسابق لاسترضاء ، واجتذاب من ناضلنا ضدهم باسم استقلال الوطن والتنمية الاقتصادية والتقدم الاجتماعى»[١].

بينما يحمل الدكتور ماهر الشريف على العولمة باعتبارها استعماراً اقتصاديا فيقول: «إذ أن العولمة بشكل تمظهرها الحالى، سياسياً واقتصادياً وثقافياً، ليست، فى الحقيقة، سوى شكل جديد من أشكال السيطرة والهيمنة، إلى درجة إلى كلمة «استعمار» صارت تلازمها كظلها: «استعمار السوق» «استعمار الصورة» ، «استعمار سيبرنتى» ... إلخ.

وبغض النظر عن الشحنة الأيديولوجية التى يمكن أن تتضمنها كلمة «استعمار» ، إلا أنها تعبر تعبيراً صادقاً، عن أشكال تمظهر هذه العولمة، لا

---

(١) النهج - ربيع ١٩٩٨: ص٣٩

سيمـا عندما يتـعلق الأمر بـ «استـعمار السوق»، الـسوق التى لا يحـركها سوى البحث عن الـربح ومعاظمته، ولا تضبطها أيـة قيود ولا تخضع لأى تخطيط»[1].

أما الدكتور رمزى زكى فيتحدث عن مخـاطر الكتلة الهائلة من الأموال الهائجة قـصيرة الأجل فيقول: «أصبـح الاقتصاد العالمى يعـوم على أمواج عاتية مـن السيولة الدولـية التى تشكل فـيضاناً هائلاً مـن رأس المال المالى، فهناك الآن كتلة مـن الأموال السائلة التى تتحرك فى العـالم عبر مدار العام تقدر فى حدود ١٠٠ تريليون دولار، فى حـين أن حجـم التجارة الدولية لا يتجاوز حدود ٣,٥ تـريليون دولار، أى ما يعادل ٣,٥٪ من تلـك الكتلة، والمصدران الـرئيسيان لـتلك الكتلـة هما أسواق النـقد الدولية وصـناديق الاستثـمار العالميـة، ومن المعلوم أن الـصندوق الاستـثمارى هو ذمة مـالية مستقلة، يدير حافظة ضخمة للأوراق المالية، ويوجد الآن فى العالم حوالى ٧٧٠ صندوقاً استثمارياً بمنزلة ديناصورات تتحرك بوحشية، وبشكل سريع، وفى لمح البصر من بانكوك إلى بوينس إيرس، وهى تتعامل الآن فى أصول مالية تتجاوز بكثـير حجم الاحتياطيات الدولية التى تملكـها البنوك المركزية فى مختلـف دول العالم، هذه الكتلة الـهائلة من الأموال الهائـجة قصيرة الأجل أصبحـت هى مصدر تمويل حركات المـضاربة العالمية ومـصدر قلق شديد لمختلف دول العالـم»[2].

والدكتور جلال آمين أستـاذ الإقتصاد بالجامعة الأمريكية يـكتب العديد من المقالات المهـاجة للعولمة فى العـديد من الجرائد والمجلات ويقرن بـينها

(١) المرجع السابق ص ٤٠، ٤١

(٢) مجلة العربى يناير ١٩٩٩. ص ١١٣

وبين الأمركة ويصدر عنها كتاباً فى سلسلة إقرأ ويخصص بعد ذلك محاضره يحذر فيها من استخدام ثورة المعلومات فى قصر الثقافة الأمريكية لثقافات الأمم الأخرى فيقول في ذلك: «إنَّ ثورة المعلومات تستخدم- لا شعورياً وأحياناً عمداً - فى قهر ثقافات الأمم الأخرى، ذلك أنه من الخطأ فى اعتقادى النظر إلى المعلومات على أنها شيء محايد ، لأن عملية اختيار المعلومة وطريقة صياغتها وبثها يكون فيها نوع من التحيز دائماً فالمسألة فى ذهنى أشبه بالمادة الكيماوية التى من أجل أن تعطيها للجسم يلزم أن تخلطها بأشياء أخرى، كذلك المعلومة من أجل أن تنتقل من ثقافة إلى ثقافة أخرى يلزم أن تختلط بالثقافة التى تصدرها، فإذا كانت الثقافة المصدرة لها غرض خداعى فإنها ستبث سموماً معينة مختلطة بتلك المعلومات»(١).

ويذهب الدكتور محمد غابد الجبرى أن العولمة لاتمثل خطراً لمستقبل الثقافة الإسلامية وذلك لان الثقافة فى كل بلد مرتبط بما يفعله أهلها، الثقافة لا تصنع مصيرها بنفسها بل أهلها، هم الذين يصنعون هذا المصير، وهم الذين ينشرونها ويعمقونها ويعممونها، فالأمر متوقف على المسلمين وعلى العرب دولاً وأفراداً ، ومثقفين، بطبيعة الحال هناك مشاكل على صعيد التعليم ، هناك آفاق مغلقة أمام الشباب، ومع ذلك فليس هذا هو نهاية العالم، وأنا شخصياً عندما اتصل فى جميع أنحاء العالم مع الشباب من الطلاب أرى أن نخبة تتكون أوسع وأعمق من النخب الماضية وهذا يبشر بالخير(٢).

---

(١) الثقافة العربية فى مواجهة ثورة المعلومات - المركز الدولى للدراسات: ص٥

(٢) مجلة الكلمة العدد (١٨): ص ١٣٨

لكن الدكتور أحمد صدقى الدجانى يرحب بالتعامل مع العولمة انطلاقاً من موقف آخر هو ثقتنا بعقيدتنا وتراثنا ولغتنا أى بحضارتنا الإسلامية التى تمثل جماع هذه العناصر الثلاث وقدرتها على المواجهة ويقول الدكتور الدجانى فى ذلك: «هذه الظاهرة موجودة فلنتعامل معها ولكن لنثق بقدرتنا على المواجهة ، فعملية محاولة إنهاء الثقافات وتنميط البشر على ثقافة غربية واحدة يقيناً سيفشل، قد يندفع البعض من الشباب فى مرحلة إلى أكل الهمبورغر مثلاً، لكنه بعد فترة قصيرة يعود إلى روعة الأطباق التى تعودها هنا وهناك، وجاءت عبر تجربة عريقة، هذا على صعيد الطعام، وعلى صعيد الثياب قد يلبس الجينز أحياناً فى فترة قصيرة، ولكن هل هناك أروع من اللباس النابع من البيئة المنسجم معها، إذن علينا أن نثق بأن هويتنا الحضارية ستكون راسخة، وخصوصاً أن الهوية دائماً جماع ثلاثة عناصر : العقيدة التى توفر رؤية كونية واللسان الذى يجرى التعبير به، والتراث الثقافى الطويل المدى .

بالمنطق الفعَّال هذا نواجه هذه الظاهرة وكلنا ثقة أن قيم حضارتنا ستنجح فى التغلغل داخل دائرة تسيطر عليها العولمة وهى الدائرة الغربية، لأن فى الإنسان نزعة للتطهر، وهناك قيم فى داخل تلك المجتمعات تلتقى مع قيمنا، ولذا سيحدث تغلب لها على قيم الاستهلاك والتسلية وما تأتى به العلمانية التى لا تنظر إلى الإنسان إلا عن أنه مستهلك مادى ليس إلا»(١).

وهذه الرؤية الأخيرة للدكتور الدجانى هى خير مدخل إلى موضوع الكتاب.

---

(١) المرجع السابق ص ١٤٣.

القسم الأول

الجلسة الأولى

الإسلام والعولمة :
مدخل عام اقتصادى وفكرى

رئيس الجلسة : د. مجدى قرقر
المتحدث الأول: أ. عادل حسين
المتحدث الثاني: أ. د. محمد الجليند أستاذ الفلسفة بكلية دار العلوم
المعقب : أ. طلعت رميح

كلمة الأستاذ عادل حسين

العولمة وصراعنا مع الغرب

موضوع العولمة أصبح الآن ظاهرة، وإذا كانت فكرة العولمة فى جوهرها فكرة قديمة فهى تكتسب الآن صياغات شديدة التعقيد يمكن من خلالها خداع الكثيرين فالتطورات العلمية والثقافية والإعلامية المختلفة أكسبتها قدرات أكبر فى الخداع والمراوغة.

ومن يزعمون أن العولمة تعنى العالمية، وأنها واقع مفروض ومن يرفضها يعد من المتخلفين هم أصحاب النظرة السطحية للأمور ، ومبشروا العولمة يقولون إن الدنيا قد غدت على نحو مختلف مما سبق وأن التطورات العلمية والتكنولوجية جعلت العالم متشابكاً أشد التشابك حتى غدا كالقرية الواحدة ولم يعد هناك معنى للوحدات الصغيرة والحدود القومية. وقبل أن نبحث عن أثر هذه المفاهيم على مجتمعنا، علينا أن نقول إن هذا المفهوم غير صحيح وكافر ومضلل لأنه قد حدث فى السابق أنه مع ظهور الثورة الصناعية فإن الإنتاج قد صنع علاقات اقتصادية قوية أدى إلى تشابك الأمن فبدلاً من أن كانت كل دولة تصنع احتياجاتها الخاصة فى السابق فإن الصناعات الجديدة تخطت حدود الدول القومية، وعلى الرغم من كل هذه التفاعلات وجدت الدولة السياسية التى تضبط الحركة وتطبق القانون، ولكنهم عندما يقولون : إن العالم قد أصبح قرية واحدة ويحتاج إلى قيادة واحدة فإنهم يقصدون بذلك أمريكا ولكن علينا نحن المسلمين أن نرفض ذلك لأنه مفهوم خاطئ ومضلل لأنه على الرغم من أن هناك بعض الظواهر التى تؤيد حلمهم هذا لكنها لا تصل فى تأثيرها إلى المدى

الذى يريدونه كما أن سير الأحداث ومشيئة الله قبل ذلك - لن تحقق لهم هذا الحلم.

فمن الناحية الاقتصادية يقولون إن الشركات الاقتصادية الآن شركات عابرة للقوميات، ويقصدون بذلك الشركات الدولية النشاط التى لها فروع فى أكثر من دولة، ويزعمون أن هذه الشركات لا هوية لها أو جنسية ولا تبحث عن شيء سوى الربح، وهذا قول خاطئ إلى حد كبير فهذه الشركات لها دور بالغ الضرر والخطر ويخضع ولاؤها فى النهاية إلى الدولة التى ينتمي إليها مقرها الرئيسي، والقول بأنها متعددة الجنسيات هو قول خادع.

وهذه الشركات العملاقة التى تبلغ ثلاثمائة أو أربعمائة شركة تتجاوز ميزانيتها ميزانية العديد من الدول النامية ولا يقتصر تأثيرها على البعد الاقتصادى ولكنها تتحكم بدرجة كبيرة فى البعد التكنولوجى أيضاً، ولذلك فهم يعملون على فرض قواعد هذه الشركات على كل من يريد تحقيق التنمية والذى يكذب حياد هذه الشركات أنها فى أزمة الغرب مع إيران لم تقاطع هذه الشركات إيران من نفسها ولكن لأن حكوماتها هى التى أمرتها بذلك. ومن الكذب أن يقال إن تصدير الاستثمار والتكنولوجيا لا يخضع لغير الربح لأن التعصب العنصرى للرجل الأبيض له تأثيره الأكبر من ذلك فإن كان الاستثمار فى هولندا سينتج ربحاً قدره ١٠٪ وفى آسيا ٢٠٪ فإنهم يفضلون الاستثمار فى هولندا عن آسيا، بل إن منهم من يرفض الاستثمار فى دول العالم الثالث (مثل بعض الدول الأفريقية) حتى لا يساعد على تقدم هذه الدول، وكذلك الأمر بالنسبة لتصدير التكنولوجيا. والخطر فى الأمر أن الحكومة المصرية قد خضعت تماماً

لبعض هذه الشركات وقدمت لها تيسيرات كبيرة رغم تحذيراتنا المستمرة من خطورتها وكل ما يقال عن أن هذه الشركات ستجلب الخير لمصر كلام غير صحيح وكاذب وكذلك ما يقال عن كوننا فى عالم جديد تحكمه هذه الشركات متجاوزاً بذلك خلافات الماضى هو محض أكاذيب ، ولكن كثيراً من الناس عندنا يصدقون هذا الكلام فما يقولونه عن ثورة الاتصالات وتبادل المعلومات عن طريق الأقمار الصناعية وأطباق الاستقبال والإنترنت هو فى الحقيقة ثورة رهيبة ولكن هل حدث بالفعل تبادل فى المعلومات؟ لو صدق هذا لكان ما يعرفه الإنسان فى إنجلترا عن بلادنا هو بقدر مايعرفه الإنسان فى بلادنا عن إنجلترا ولكن الذى حدث أنه أصبح ما نعرفه الآن عن أمريكا وإسرائيل وإنجلترا أكثر مما نعرفه عن سوريا أو اليمن أو تونس أو أى من الدول الإسلامية الأخرى فالإعلام يحمل غسيلاً للأدمغة ويسعون من خلاله لمحو تراثنا. وكل يوم يفتتحون محطات جديدة للسيطرة الإعلامية الكاملة، فهم يوجهون المعلومات ويشوهون التحليلات وينشرون الفجور ويسعون لطمس ديننا وهويتنا. واليهود يركزون تركيزاً خاصاً على الإعلام والسينما، ووسائل التثقيف، فهذا الإعلام العالمى الذى تمثله العولمة تحكمه أمريكا وإسرائيل فى النهاية، وهو لا يجلب خيراً لنا وإنما دماراً لشعوبنا.

/ والهدف الأساسى من العولمة هو أن يسيطروا على كل المستضعفين وعلى أمة الإسلام بوجه خاص وإذا كان هذا الهدف هدفاً قديماً فإنهم يعملون الآن على الاستفادة من التطورات العالمية التى حدثت من أجل تحقيقه، ولكن التطورات المتوالية لم تساعدهم كثيرا فى ذلك، فقد كان من

المتصـور أن تلعب أمريـكا دور الحكومة الـعالمية، فـثبت أن بالعـالم قوى كثيرة، كتلاً لا يـستطاع إلغـاؤها مثل الـصين واليابان ودول جـنوب شرق آسيا.

ولذلـك فإننـا فى عـالم اليـوم ينبـغى أن نحـرص علـى ضرورة تكـتل المسلـمين إننا يـنبغى أن نكـون الأتقى والأرسخ فـى عالم اليـوم ونحن إذا تخلفنا فلن ينقذنا غيرنا، وينبغـى أن نقيم كتلتنا ونواجه الآخرين بها وبغير هذا التكتل لا نكون قد أقمنا الوحدة التـى أمرنا الله بها وحملنا الأمانة التى حملها الله إيانا.

ومن حيث المبدأ فإنه حين يقال إن العالـم سيكون عالماً واحداً تحت هيمنة دولة واحدة وأن ذلك سوف يشمل الجوانب الثقافـية والحضارية فإننا ينبغى أن نرفض ذلك من منـطلق إسلامى، فإنه من المنظور الإسـلامى فإن الله قد خلـق البشر مـختلفـين، ونحن نؤمـن أن البشر لا يمـكن أن يكونـوا وحدة واحدة.

إذن سيكون هناك دائماً حزب الله وحزب الشيطان وسيبقى دائماً الحزب الذى يـسعى دائماً لتـحقيق شرع الـله فقد خلـقنا لنكون خـير أمة أخرجت للناس ولهذا فإذا كان ما يحـمله الغرب الآن من حضارة وما يبثه من ثقافـة هو حضارة وثقافة الـشيطان التى تحض عـلى الكفر فإننـا سنظل معتصمين بكل قيمنا التى يعتبرونها تخلفاً لأن تقدم الأمم الحقيقى ينبغى أن يقاس بمدى تقدمها إلى الله سبحانه وتعالى.

ولا يعنى ذلـك إسقاط التقدم المادى الذى لابـد منه ولكنه المعيـار الثانى بعد الاعتصام بالـله ونحن الآن أشد تصميماً على مـوقفنا من ذى قبل لأن

من يعادون الإسلام ازدادوا شراسة، ونحن نرفض عولمتهم التى تزعم أن الفروق بين الأمم قد انطمست فها هو ضرب المسلمين في العراق وغيرها مستمر، فأى عولمة نصدقها؟!

إننا سنحارب أضاليلهم وقبضتهم التى يحاولون بها التحكم فينا، وإذا كتب علينا كمسلمين أن نقاتل لانتزاع حقنا سيكون ذلك؛ فنحن كمسلمين فى خط الصدام الأول للدفاع عن كلمة اللـه، ولكن إعلاء كلمة الله ليست بالعبادة فقط، ولكن بالعمل الصالح والجهد التنموي، وإقرار العدل والعمل على أن تكون الشعوب إخوة ، ونرجو أن يكون المسلمون قوة مع القوى الأخرى وهذا بإذن الله ممكن، وقد وعدنا الله النصر وإظهار دينه والمؤشرات تؤكد أن وعدالله بنصر المسلمين يبدو فى الأفق وبشائر النصر تهل بإذن الله.

المسلمون وفقه السنن الإلهية

معالم النهوض فى القرن القادم

أ.د/ محمد السيد الجليند

إن تاريخ الحضارات الإنسانية يفرض على المسلمين فى عصرنا هذا أن يعيدوا قراءة تاريخهم المعاصر وعلاقتهم بالحضارات الأخرى أخذاً وعطاءً، ذلك أن مسيرة التاريخ الحضارى للبشرية توجب علينا أن نستخرج من هذه الحضارات أسباب قيامها وعوامل انهيارها، وازدهارها وانحطاطها كيف قامت ولماذا بادت وانمحت ولم يبق من معظمها إلا الأثر بعد العين، والعبرة التاريخية بعد واقعها المادي، تلك قضية على جانب كبير من الأهمية لفت القرآن الكريم نظرنا إليها فى صورة الأمر الإلهى الذى يحمل معنى الفرض العينى فى بعض الأحيان، قال تعالي: ﴿قَدْ خَلَتْ من قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فسيرُوا فى الأرْض فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِين﴾ ، وإن هذه السنن كانت تتمثل آثارها فى اتجاهين متضادين .

واتجاه آخر من السنن الكونية يجسد لنا عوامل انهيار الحضارات وإبادتها قال تعالى : ﴿وكأين من قرية وهى ظالمة فهى خاوية على عروشها وبئر معطلة وقصر مشيد﴾ ، (الحج ـ ٢٢) ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْض فينظُروا كيف كان عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَةً وآثارا فى الأَرْض فما أغنىٰ عنهم ما كانوا يكْسبُونَ (٨٢) فلَمَّا جَاءَتْهمْ رُسُلُهم بِالْبيِّنَات فرحُوا بما عندهُم مِّن العلم وحاق بهم ما كانوا به يستَهْزئُونَ (٨٣) فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسنا قالُوا آمنَّا بالله وحْدهُ وكفرْنا بما كُنَّا به مشركين (٨٤) فلم

يكُ ينفعُهمْ إيمانُهم لمَّا رَأوْا بأْسَنا سُنّتَ اللَّهِ الَّتِي قدْ خلتْ فِي عِبادِه وخسِر هُنالِكَ الْكافِرُون (٨٥)﴾ (غافر -٨٣،٨٥).

ولقد تكرر ذكر ذلك فى القرآن الكريم كثيراً خاصة فى القرآن المكى يبين لنا خلال عرضه لأسباب قيام الحضارات فى الأمم الماضية وأن أسباب هذه الحضارات إذا توفرت قامت عليها الحضارة وسادت وأثمرت وتركت أثرها فى مسيرة التاريخ.

وأهم هذه العوامل التي نبه إليها القرآن. هو عامل الإيمان والاعتقاد الصحيح وما يترتب على هذا الإيمان من سلوكيات أخلاقية وعلاقات اجتماعية تحكم حركة الحياة للفرد والجماعة على سواء، وعنصر الإيمان هو السبب الفاعل فى قيام أى حضارة تركت أثرها فى مسيرة التاريخ.

ولعلك تجد مصداق ذلك في الواقع الحضارى للأمم، فلم تجد أمة من أمم أهل الأرض خالية من التعبير عن إيمانها وعقائدها بما شاءت من الشعائر والطقوس التى تجد فيها راحتها النفسية وغذائها الوجدانى ، لا تجد أمة بلا معبد أو كنيسة أو مكان تقدسه تلتمس فيه علاقتها الطيبة بمصدر إيمانها وملهم اعتقادها، سواء صحت لها هذه العقيدة فى منطق العقل أو فسدت وسواء كان لعقيدتها صلة بوحى السماء أم كانت من صناعة حكمائها وقديسيها، تلك قضية فرضت نفسها على الواقع الحضارى للبشرية وينبغى أن يعى ذلك تماماً المربون والمصلحون وألو الأمر فى رسم الخطط والمناهج التربوية حتى لا يحدث نوع من الانفصام بين شخصية الإنسان وحاجاتها الضرورية وما تمليه هذه المناهج التربوية عليهم.

ولما كان الإيمان هو السبب الفاعل فى تأسيس الحضارات وازدهارها فإن

غياب الإيمان أو محاربته ومصادمته هو أيضاً السبب الفاعل فى انهيار الحضارات وانحطاطاتها، ذلك أن غياب الإيمان والاعتقاد الصحيح يترتب عليه سيادة قيم ومبادئ اجتماعية وأخلاقية تجسد الجوانب الدنيا فى الطبيعة البشرية، فيسود منطق الأثرة والأنانية بدلاً من الإيثار والمحبة، ويحل الظلم ويغيب العدل، ويرتفع كل معنى أخلاقى نبيل ليسود منطق الغاب وسيادة الأقوي، تأمل معى حال مجتمع يعيش أفراده تحت سيادة هذه المبادئ اللاأخلاقية، ثم ماذا يكون حال العلاقات بين الدول إذا أخذوا بهذا المنطق فى علاقات الدول الكبرى بالدول الضعيفة ، وهذا هو الواقع المعاش الآن، فإن الدول الضعيفة تكتوى بنار هذا المنطق المعكوس فى تعامل الدول الكبرى معها حيث سطت هذه الدول على خيرات العالم الثالث سلباً ونهباً وإذا وجدت من يقاومها فإن القتل والتشريد وسيلة الخلاص منه.

وقد اخترع الغرب عبارة رخيصة يغلف بها هذا المسلك اللاأخلاقى فأسمى احتلاله للأوطان استعماراً وأسمى نهبه وسطوه على مقدرات الشعوب علاقات دولية أو مصالح دولية، هذا هو منطق الغرب المتحضر، وهذا لون من ألوان الحضارات ومنهجها فى التعامل مع الآخر، ومصدر قوتها وسر عظمتها يرجع إلى اعتصامها بالعلم وادعائها أن العلم كاف فى خلود هذه الحضارة وأنه سلاح تسود به الحضارات الأخرى .. وهنا لابد أن نستحضر الآية الكريمة التى سبق أن سقناها ﴿أفلم يسيروا فى الأرض فينظروا كَيْف كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ من قبلهم كانوا أكثر منهم وأشد قوة وآثارا فى الأرض فما أغنى عَنْهُم مَا كَانُوا يَكْسِبُون (٨٢) فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم وحاق بهم مَا كَانُوا به يَسْتَهْزِئُون (٨٣) فلمَا رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به

مُشْرِكِينَ (٨٤) فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ (٨٥)﴾(غافر- ٨٢،٨٥).

وتأمل معى منطق الآية الكريمة ﴿فَرِحُوا بِمَا عِندَهُم مِّنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ والفرح هنا ليس مجرد التعبير عن السرور النفسى وإنما هو الغرور الشيطانى الذى حذر منه القرآن الكريم فى تحذيره لقارون ﴿ إذ قال له قومه لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين﴾ فلقد اغتر هؤلاء بما عندهم من العلم كما يغتر أبناء عصرنا بما عندهم من العلم ونسوا أن العلم هو وسيلة بناء الحضارات وازدهارها وأنه هو نفسه قد يكون سبباً فى انهيارها وإبادتها ومن هنا جاء الأمر الإلهى بالقراءة المقرونة باسم الرب الخالق وليس بالقراءة المبتورة عن الخالق قال تعالى : ﴿أقرأ باسم ربك الذى خلق﴾ فقراءة الكون واكتشاق أسراره وقوانينه يجب أن يكون فى أحضان الإيمان بالرب الخالق حتى إذا ما أحسن الإنسان قراءة الكون وتعرف على قوانينه فإنه يوظف هذه القوانين العلمية توظيفاً إيمانياً يسعد بها الإنسان ولا يشقيه فيكون العلم مصدر أمن وأمان للإنسان وليس مصدر خوف وشقاء وهذا هو الفرق بين العلم المؤمن والعلم الكافر لقد اكتفينا باجترار الأمجاد الماضى بدلاً من صنع الحاضر وبناء المستقبل ولا يخالجنى شك فى أن السبب الرئيسى فى هذا القصور والتقصير الذاتى يقع إثمه على نمطين من فئات المجتمع فى عالمنا الإسلامى.

١ - **النمط الأول** هم العلماء الذين اكتفوا من العلم بالحفظ والتحصيل ولم يترجموه إلى واقع يحيا به المجتمع، لأن هذه هى وظيفة العالم ولا أقصد بالعالم هنا رجل الدين وإن كان هو يمثل القوة المحركة لكل صاحب رأى والمرشد الأمين للعالم الكونى لكى يحسن توظيف علمه.

٢ - أما **النمط الثانى** فهم الأمراء يوم أن سلبوا العالِم هيبته ومكانته الاجتماعية وبالتالى سلبوه قوة تأثيره فى القلوب فلم يعد له فى المجتمعات مكانة ولا بين الناس هيبة وفقد كلامه أثره فى تحريك القلوب ، إن هذين النمطين من فئات المجتمع هما قطب الرحى - ولذلك كانت أسس التحضر أو التأخر ترتبط بالأثر الثقافى والسياسى الذى يقوم به هذان النمطان فى المجتمعات .. أثر العالم وأثر الحاكم. فأثر العالم يتيح للمجتمع أن يسود فيه منطق العلم ومحاربة الجهل، يسود منطق التقدم ويتراجع منطق التأخر، ومعلوم أن العلم هو مفتاح كل تقدم لشعوب أهل الأرض، وما تقدم الغرب إلا بمنطق العلم وما تأخر المسلمون إلا بابتعادهم عن منطق العلم، وأن المشكلات التى صاحبت المجتمع الإسلامى فى القرن المنصرم ينبغى أن يسعى المسلمون جاهدين إلى التخلص منها قبل دخولهم القرن القادم وأول ما يجب أن يأخذوا به للتخلص من هذه المشكلات أن يصارحوا أنفسهم بهذه المشكلات بدلاً من الهروب منها، وهنا أحب أن أضع أمامنا بعض القضايا كمفاتيح لدخول القرن القادم.

أولاً : فقه السنن الإلهية فى الكون .

ثانياً : تسييد منطق العلم فى شئون الحياة ، اجتماعياً وثقافياً وسياسياً وإعادة العالم إلى مكانة الصدارة فى المجتمع .

ثالثاً : جمع الصف الإسلامى الممزق تحت أى مسمى من المسميات.

رابعاً : حسن استغلال الثروات الكونية التى أنعم الله بها على المنطقة الجغرافية للعالم الإسلامى.

خامساً : فتح أبواب الحوار مع الآخر وأخذ النافع منها والإفادة من خبراته.

سادساً : إزالة العوائق أو الحواجز النفسية بين المؤسسات الحاكمة فى العالم الإسلامى.

فقه السنن الإلهية:

إن لله تعالى قوانينه التى تحكم حركة الحياة فى المجتمع، ومن شأن هذه القوانين أن تأخذ بهذه المجتمعات إلى مكان الريادة والصدارة، فتسود ويسود معها أخلاقياتها ومبادئها وعقائدها، وإذا كانت هذه المبادئ تعتمد فى أسسها على عقائد صححية كان لها الخلود والدوام وهذا ما تميزت به مبادئ الإسلام فى تأسيس حضاراته وبناء مجتمعاته فإن هذه المبادئ تستمد قوتها من قوة الاعتقاد وصحته، وترتبط به وجوداً وعدماً، فكل حركة فى بناء المجتمع ترتبط بالعقيدة الإسلامية ابتداءً من عقيدة التوحيد التى هى أصل الإيمان، وانتهاء بإماطة الأذى عن الطريق، مروراً ببناء الأسرة ونظام الحكم والعلاقات الاجتماعية بين الأفراد وكلها منضبطة بنصوص تحكمها وتربطها بأصل الإيمان، وإذا تخلف أى سلوك سياسى أو اجتماعى عن أن يستمد قوته من أصل الإيمان فقد تخلف قدر من الإيمان بقدر ابتعاد هذا السلوك عن أصل العقيدة وكلام العلماء فى ذلك مستمد من موقف السلف الصالح فى أن الإيمان يزيد بالطاعات، وارتباط السلوك بالعقيدة كما ينقص الإيمان بالمعاصى وابتعاد السلوك عن أصل الإيمان.

هذه قضية على جانب كبير من الأهمية لها أثرها فى بناءالأمم ، أو انهيارها ولقد لفت القرآن نظرنا إلى أن ذلك الارتباط بين سيادة منطق الإيمان وبناء الأمم ارتباط عضوى قال تعالى : ﴿ وتلك القرى أهلكناهم لما ظلموا﴾ ، ﴿ يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأت الله

بقوم يحبهم ويحبونه﴾ ، ﴿الذين أن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وأتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر﴾ ، ﴿ لعن الذين كفروا من بنى إسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه﴾ والآيات القرآنية فى هذا الباب كثيرة ومتنوعةوكلها تنذر بفناء الأمم إذا هى ابتعدت فى مسيرتها عن منهج الله فى عمارة الكون، وليست هذه الأمة الإسلامية بدعا فى ذلك فإن منطق السنة الكونية لاعلاقة له إلا بحلول الأسباب فتحل معه السنة الكونية وترتبط به ارتباط النتائج بأسبابها، وتاريخ الحضارة الإسلامية دليل واقعى على صحة هذه السنن التى لا تختلف أبداً فيوم أن ساد منطق الإيمان فى السلوك والعلاقات الاجتماعية وفى نظم الحكم توفرت عوامل بناء الحضارة فأقام المسلمون حضارتهم التى أنارت للبشريةطريقها إلى عصر النهضة الذى نعيشه علماً وفكراً وثقافة، لأنهم آمنوا أن مفتاح التقدم العلم بهذه السنن، وأن من سنة الله فى خلقه ارتباط الأسباب بنتائجها فاكتشفوا القوانين وأدركوا العلاقات ووظفوا العلم لصالح الإنسان، ولما انتقلت هذه الحضارة إلى أوربا جردوها عن منطق الإيمان ووظفواالعلم بمنطق شيطانى ليسيطروا به على مقدرات الشعوب فأصبحت حضارتهم خالية من روح الإسلام أو أن شئت من نور الوحى فوظفوا العلم لدمار العالم بدلاً من إعماره، وإلا فحدثنى بربك، ما معنى أن يرصد فى ميزانية هذه الدول الصناعية مليارات الدولارات لصناعة الصواريخ والقنابل النووية وأسلحةالدمار.

وما معنى أن نرصد هذه الميزانية الضخمة لريادة الفضاء وشعوب الأرض لا تجد ما تقتاته وما معنى هذا السباق المحموم فى غزو الفضاء، وأهل الأرض يبيتون فى العراء.

وما معنى أن تخضع المنظمة الدولية لإرادة الدول التى تمتلك هذه الأسلحة المدمرة فتشرع القوانين لصالحها وتحرم على غيرها ما تبيحه لها، إن هذا الخلل الكونى يرجع فى أسبابه إلى سيادة منطق الحضارة الفارغة من معنى الإيمان، سيادة المنطق الإلحادى الذى لا يعرف للإيمان معنى ولا للأخلاق مكانة ولعل عبارتهم الشهيرة تجسد فلسفة هذه الحضارة، لا أخلاق فى السياسة ولا سياسة فى الأخلاق، قل لى بربك ماذا تكون إذن هذه السياسات، التى تستبد بأهل الأرض فى زماننا.

إن القرن القادم يجب على المسلمين أن يدخلوه بهذه المنطق الحضارى المؤمن لينقذوا البشرية من تدميرها بسلاح العلم الملحد إن هذا الصوت ينبغى أن يدوى من فوق منبر الأمم المتحدة، أوقفوا توظيف العلم بمنطق الشيطان، ووظفوه بمنطق الإيمان، إن هذا الصوت هو نداء السماء لأهل الأرض ﴿أفلم يسيروا فى الأرض فينظروا كيف كان عاقبة من قبلهم كانوا أكثر منهم وأشد قوة وآثاراً فى الأرض فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون، فلما أتتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون﴾.

إن الذين يملكون مفتاح النجاة للبشرية من سطوة سلاح العلم وسوء توظيفه هم أهل الإيمان بالوحى السماوي، أتباع كل دين ولا نجاة للبشرية، إلا بإعادة النظر فى توظيف نتائج العلم بمنطق إيماني.

العلم والعلماء:

لا يشك عاقل فى أن منطق العلم هو مفتاح كل تقدم اجتماعى وسياسى وثقافى ولابد أن يطرح الإنسان على نفسه سؤال ضروري، ما مكان العلم

والعلماء فى الغرب.؟ وأين مكانة العلم والعلماء فى المجتمعات الإسلامية؟

وينبغى أن يفهم العلم هنا بالمعنى العام الشامل لعلوم الدين والدنيا معاً ذلك أن التفرقة بين النوعين من العلوم لا معنى لها فى الإسلام، إلا من حيث الدرس والتحصيل والتوظيف فإن العالم المسلم كان هو الطبيب والمهندس والمعمارى والرياضى..إلخ.

وكانت صحبة الخلفاء وجلساؤهم من هذه الصفوة من المجتمع وكانوا هم مستشاريه وأصفيائه، ولذلك كانت مكانتهم الاجتماعية محفوفة بالهيبة والوقار وكان العالم نفسه يأبى وتأبى عليه نفسه إلا أن يكون كذلك. فكان الحاكم يخطب وده ويسعى إليه أينما كان مجلسه ولا يسعى هو إلى الحاكم. لأن هيبة الحكم وسلطانه كانت تستمد من مكانة هذه الصفوة المختارة، وكان رأى العالم هو سند الحاكم فى قراراته، وإذا كانت سيرة الخلفاء فى تاريخنا ترتبط فى الكثير من جوانبها بصلتهم بالعلماء، فإن سيرةالعلماء فى العصور التالية أخذت منهجاً آخر، حيث حلت القطيعة بدلاً من الود والاتصال وتبدل الصفاء بجفاء وظهرت كلمة السيف والسلطان لتختفى كلمة العلم ومنطق العلماء ، وتبع ذلك تبدل أحوال المجتمعات، سلوكاً وفكراً وثقافة لأن لكل نظام ثقافته التى تؤيده وتعاضده.

توحيد الصف الممزق:

جاء الإسلام ليوحد العرب من فرقتهم القاتلة فجمع كلمتهم حول إله واحد وعلمهم بل دربهم على تبنى النظام وهجر الفوضى وتوحيد الصف

وهجر الفرقة وإن فى العبادات والشعائر والطقوس الدينية تدريب على الوحدة والنظام، وجاء الأمر الإلهى صريحاً فى قوله تعالى : ﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا، واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً﴾ ولقد علم الرسول أمته كيف يحرصون على خلق هذه الوحدة، حتى وإن كانت غائبة ولعل المثل الفريد فى تاريخ البشرية خير معلم للمسلمين كيف يتحدوا ما حدث فى قصة المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار وكيف تعامل الأنصار مع المهاجرين بأسلوب الأوانى المستطرقة فلم يحس المهاجرون بقسوة الحرمان أو فقد المال ومفارقة الأهل والخلان، وكل شيء فى الإسلام يدعو المسلمين إلى الوحدة فى نصوصه وفى سيرة الرسول وصحابته نماذج القدوة والأسوة الحسنة ولكن للأسف الشديد ، فإن واقع المسلمين وما هم عليه يدعو إلى الحسرة وإلى اليأس أحياناً، وعليك أن تجول بناظريك فى شتى أنحاء المعمورة فهل تجد على ظهر الأرض شعبين مسلمين متجاورين ألا وبينهما من العداء والخلافات ما يعجز عنه الحكماء، ولا تبادرنى بالحجة الواهية أن ذلك من فعل الاستعمار ودسائسه فلو لم تكن التربة قابلة للانفعال بهذه الدسائس لما حل العداء محل الإخاء ولما سيطر منطق الخلاف وغاب منطق الوفاق.

بل أن ظهور العولمة وما تستتبعه من سيادة مبادئ وثقافات وأفكار جديدة تدعو المسلمين إلى أن يأخذوا الأمر بمنطق الجد ويتخلصوا من هذا العبث الذى يعيشون فيه ويعلموا أن الأمر جد وليس بالهزل، فلابد من أمر جامع يلتف حوله المسلمون سياسياً واقتصادياً وثقافياً واجتماعياً وإلا فإن هويتهم إلى فناء .

ثروات المسلمين من يستغلها :

بلغ تعداد العالم الإسلامى مليار وربع المليار نسمة أى خمس سكان المعمورة وثرواتهم من البترول والذهب والزراعة والمعادن الأخرى تكفى لأن تجعل من العالم الإسلامى قوة اقتصادية كبرى يخشى العالم بأسها ويخطب ودها وهذا أمر لا يخفى على أحد ولعل حرب الخليج الأخيرة وما كشفت عنه من خبايا وأسرار يعطى المنطقة العربية ثقلها الدولي، ويكشف للمسلمين كيف يتربص العالم بخيراتهم والأمر يحتاج إلى إعادة ترتيب الأوراق فى العلاقات والأولويات فى المصالح الدولية وأن يعلم الجميع أنه ﴿ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم﴾ وليس معنى هذا قطع الصلة بهذه الدول ولكن تكون العلاقة على قدر المصلحة وألا تترك ثروات الأمة كلأً مباحاً يتقوى به أعداء الأمة ويصنعون به أسلحة الدمار التى تفتك بشعوبنا الإسلامية أن استغلال الثروات فى العالم الإسلامى يحتاج إلى إعادة النظر وأن نوضع الشروط للشركات والدول التى تستغل هذه الثروات فى ضوء علاقات هذ الدول بإسرائيل وفى ضوء مصالح هذه الشعوب الإسلامية حتى ندخل القرن القادم ونحن نمثل قوة اقتصادية لها وزنها فى مسيرة التاريخ، فهل من الحكمة أن تعطى الأولوليات فى استغلال هذه الثروات لشركات يهودية تساند إسرائيل وتستخدم هذه الثروات فى إذلال الشعوب الإسلامية، كيف يكون للمسلمين إذن قوة اقتصادية كيف يكون لهم هيبة ، إننا يجب أن ندخل القرن القادم وقد تخلصنا من هذه العبثيات التى تجعلنا أضحوكة فى نظر العالم .

الانفتاح على الغير:

لم يعد العصر الحاضر يسمح بالانغلاق على الذات وإهمال ما يجرى خارج العالم الإسلامى أو التغاضى عن ملاحقة التطور الهائل أو القفز السريع وراء معطيات العلم الذى لا نملك معه إلا محاولة اللحاق به.

وينبغى أن نعترف بأننا فى مؤخرة الركب مسايرة للعلم الحديث فلا نحسن إلا استهلاك أدواته التى لا نصنعها ولا نجيد فهم أسرار هذه الأدوات، من هنا وجب أن نفتح أبوابها فنلقى هذا العلم عن أهله ونجيد فن الإنصات والفهم والتطبيق، وهذا مطلب يدخل فى نطاق الأوامر التكليفية التى قد تصل إلى الفرض العيني، إننا فى حاجة إلى الحوار مع الآخر أكثر من حاجته إلى الحوار معنا، وما لم تفتح عقولنا وقلوبنا للأخذ عنه والنقل منه لكل علم نافع ومفيد فسوف تتسع الهوة بيننا وبينهم، ولا يجوز التعلل فى ذلك بأى منطق يحمل معنى التمنطق بأننا مسلمون وهم غير مسلمين فليس فى ظاهر الشرع ما يمنع من الأخذ عن الغير لكل نافع ومفيد، ولقد أخذ الغير عنا يوم أن كنا مصدراً ومنبعاً لهذا العلم فليس فى ذلك ما يعاب علينا أن نتعلم منه ونأخذ عنه وفى تاريخ الإسلام ما يدفعنا دفعاً لأن نفتح عقولنا وقلوبنا لكل وافد ومفيد للغير، فقد أوصانا رسولنا الكريم أن نطلب العلم ولو بالصين ، ومعلوم أن العلم فى حياة الرسول لم يكن علماً دينياً شرعياً، وإنما كان علماً دنيوياً كونياً قال تعالى : ﴿فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون﴾ ومن سنن الله فى كونه أن الحضارات يأخذ بعضها عن بعض ويؤثر بعضها فى بعض قال تعالى : ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا أن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾

والحوار بين الشعوب والحضارات هو لغة التعارف بينها، من هنا وجب علينا أن نفتح عقولنا للحوار مع الآخر من خلال منهج علمى رشيد.

مصلحة الشعوب أولا:

إذا عرفنا أن الراعى مسئول عن مصلحة الرعية كان علينا أن نجعل مناط العلاقات الدولية بين الحكومات هو مصالح شعوبها وليس شيئاً آخر وراء ذلك من الأيدولوجيات الاقتصادية أو السياسية أو الثقافية، إن العلاقات الشخصية بين المؤسسات الحاكمة ينبغى إلا تكون مدخلاً لإفساد علاقات الشعوب الإسلامية وأن ينحى جانباً منطق العلاقات الشخصية للحكام عن مسار علاقات الشعوب ومصالحها .

إننا إذا تأملنا واقع العالم الإسلامى ومصالح شعوبه نجد أن هذه العلاقات تتوقف تماماً على نوع علاقات الشخصيات الحاكمة فإن ساءت العلاقات الشخصية للحكام ساءت علاقات الشعوب تبعاً لها أو ينبغى أن تكون سيئة والويل كل الويل لمن خالف هذه العادة القبيحة التى لا وجود لها إلا فى عالمنا الإسلامي، فإذا كانت علاقة حاكم على قدر من السوء مع حاكم آخر، تبع ذلك بالقوة والغلبة علاقة الشعوب، ومن خرج على ذلك كان عميلاً وخائناً مع جهات أجنبية ضد مصلحة الوطن، ونتج عن ذلك أن حاول بعض الحكام أن يربط بين مصالح شعبه ومصلحته الشخصية فاختزل شعبه كله فى شخصه هو واختزل مصالح شعبه فى مصلحته هو وبات الشعب مقهوراً مغلوباً على أمره ولا حيلة لنا إلا الإذعان لإرادة الحاكم وإن كانت فى معظم الأحيان ضد إرادة الشعوب، إن هذه الظاهرة المتفشية فى العالم الإسلامى ينبغى أن نتخلص منها تماماً لتتحد إرادة الحكام

مع إرادة الشعوب، وتكون مصلحة الشعوب هى مصلحة الحكام ليدخلوا القرن القادم فى وحدة وانسجام ويتعلموا من الشعوب الأخرى كيف تكون اللمسات الحاكمة معبرة عن إرادة شعوبها ومصالحهم فإذا أضفنا إلى كل ما سبق ما يملكه الإسلام من عناصر الخلود التى أسس عليها حضارته كان لنا أن نشعر بالمسئولية الكبيرة التى نفخر بها أمام أصحاب الحضارات الأخرى، فإن حضارتنا تملك عناصر الخلود إنها حضارة إنسانية عالمية وليست إقليمية، تتسم بالشمول والإحاطة بكل جوانب الحياة الإنسانية المادية منها والروحية أيضاً إنها لا تفرق بين جنس وجنس ولا بين لغة ولغة ومقياس التفاضل فيها ، ليس نسباً وجنساً بل كلكم لآدم وآدم من تراب وإنما هو كما جاء في قوله تعالى: ﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾ إنها حضارة تترسم خطى الأخلاق الفطرية فلا تتصادم مع فطرة الإنسان، وإنما تكملها وتغذيها .. لاتصدم لاتصدام العقل والعلم وإنما ترشدهما وتغذيهما وتعضدهما.. شعارها العلم النافع والإيمان الصادق غاية الإنسان إينما كان بصرف النظر عن جنسه ولونه. إن القرن القادم ما لم يشهد تحولاً جذرياً نحو منطق الحضارة الإنسانية التى يحمل لواءها الإسلام فالويل للبشرية من أهداف ومقاصد الحضارة الغربية التى لا تعرف لها ديناً ولا خلقاً، قال تعالى : ﴿حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلاً ونهاراً فجعلناها حصيداً كأن لم تكن بالأمس﴾ .

تعقيب الأستاذ طلعت رميح

في حديث الدكتور الجليند ركز على الأبعاد التاريخية للمشروعات والمخططات ضد العالم الإسلامي ، وشرح الأستاذ عادل حسين في حديثه المفهوم الساذج الذي يحاولون الترويج له بشأن العولمة وحدد مخاطرها وشرح ضرورة تكتل العالم الإسلامي لمواجهة العولمة ومن وجهة نظري فإن العولمة ما هي سوى شكل جديد من أشكال الاستعمار التي شهدها العالم، حيث اتخذ الاستعمار أشكالاً مختلفة ، حيث بدأ بأشكال الاحتلال العسكري ثم التطورات التي نعرفها جميعاً، فجوهر الفكرة الاستعمارية تكمن فيما يطرح الآن باسم العولمة فاستعباد الشعوب قائم ولكنه يأخذ بمكتسبات العلم والتطورات الاقتصادية ويحاول صياغة مفهوم جديد للاستعمار لا يخرج عن جوهره الأساسي.

ومع ذلك فيجب أن نتساءل عن كيفية استفادة المسلمين من الظواهر الموضوعية التي يرتكن الغرب إليها بشكل خاطئ ففيما يتعلق بالعولمة فالفكرة الرئيسية التي ينبغي التفكير فيها هي تحدي فكرة العولمة بالصياغة المطروحة علينا والتي يحاولون العبث بعقولنا حتى نقبلها، ولكن لا يمكن تجاهل أن هناك أشياء موضوعية حدثت بالفعل يرتكنون إليها لتبرير مخططاتهم بطرح مفاهيم مغلوطة من أجل تغيير بنيتنا العقلية ويشنون حرباً ضد عقيدتنا وأفكارنا وثقافتنا. والسؤال التحدي هو : كيف نستفيد من المعطيات الجديدة في الاتصال والصراع والاحتكاك المالي؟

فتجاهل حدوث ظواهر جديدة في العالم يمكن أن ينتج عنه بالتأكيد فإن تجاهل حدوث ظواهر جديدة في العالم يمكن أن يحدث عنه أخطار

شديـدة جداً. سواء فى الجـزء الخاص بالنـفوذ المالى والـوضع الوثيـق بين حركة رؤوس الأموال والـشطط الحادث الآن فى محاولة دمـج اقتصادات العالم بـالعسف والقوة واستـغلال النفوذ المالى ممـا أدى إلى أن دولاً مثل ماليزيـاً وأندونيسيا قـد حدث بها ذلك الانهيـار المالى الشديد لأنـه لم يكن هناك رؤية وفطنة لخطورة ذلك النموذج للـسيطرة الاقتصادية للدول الغربية علـى مراكز الـنفوذ والـتجارة والمال وكـيف تم من خـلال بعض الخـطط والمؤامرات توجيه ضـربات شديدة لتجربة جنوب شـرق آسيا، ونفس الأمر يحدث الآن بـالنسبة لـليابان فما نـراه من مشكلات فـى الاقتصاد اليـابانى يرجع إلى التدخلات والنفوذ المالى فى هذه الدول .

ونفس الأمر بالـنسبة لحربى الخليـج سواء بالنسبة لحرب الخـليج الأولى باعـتبارها كـانت مؤامـرة استعمـارية من قبـل الدول الغـربية ضد الـعراق وإيران. أو الحـرب الثانـية لأنه لـو كانت هنـاك حسابـات دقيقـة لتغـيرت الموازين على مستوى العالم وكان التفكير سيكون مختلفاً بالنسبة للعراق.

لذلك فالـنقطة الأولى ليـست فقط كيف نـتحدى هذا المفهـوم بل كيف نواجهـه؟ والسؤال هو هل يمكـن أن يكون هناك آثـاراً إيجابية لهـذا الوضع الراهن على مستوى العالم ؟.

فأنا أفترض أن أوضـاع الاتصالات الآن من الإنترنت ربما تـهيئ فرصة للمسـلمين بأن ينشـروا أفكارهم وعقائدهـم وأن ينقلوا ساحـة الاحتكاك الحضارى من رسالة قادمة إلى رسالة موجـهة إلى الشعوب الغربية من أجل التأثـير على أفكـارهم فالمشكـلة إذن كيف ندرس استثمار هذه الـظواهر الجديـدة التى يحـاولون أن يفرضـوا من خلالهـا الأراء والتصورات الـتى تخدم مصالحهم.

النقطة الثانية: فإنه قد ثبت بالتأكيد أنه بعد انتهاء فترة الثلاث سنوات التى أعقبت حرب الخليج أن كل ما قيل عن أن العالم أصبح عالماً واحداً بقيادة أمريكا غير صحيح وثبت ذلك أيضاً بحكم التكتل الأوربى الصاعد فى مواجهة النفوذ الأمريكى وبحكم ما حدث فى جنوب شرق آسيا وأيضاً النمو والتفاعل المتصاعد بين الدول العربية والإسلامية لتكوين شكل من أشكال التضامن لكن مع ذلك هناك تطورات يجب أن نضعها فى الاعتبار.. ففكر الدولة الأمة بالحدود والتصورات الجيوستراتيجية التى كانت قائمة من قبل أصبحت تحتاج إلى تفكير ومراجعة ودليل ذلك ما كتبه الأستاذ عادل حسين كثيراً بشأن الصواريخ العابرة وامتلاك العرب لهذه الصواريخ فى مواجهة إسرائيل ففكرة الدولة الأمة التى زرعها الاستعمار من أجل تقسيم العالم العربى والإسلامى ربما يكون فى تقليل قبضتها مصلحة الأمة العربية والإسلامية . فحدوث خلخلة فى فكرة الدولة الأمة هى ما نطمح إليه فعلى الرغم من أن فكرة العولمة يراد بها باطلاً لكن الخلخلة فى القواعد والشروط للدولة الأمة قد يكون مفيداً لمصلحة أمتنا العربية والإسلامية.

الجلسة الثانية

رئيس الجلسة: محمد إبراهيم مبروك
المتحدث الأول: أد. سيد الدسوقى
المتحدث الثاني: د. مجدى قرقر
المعقب: د. حمدى مرزوق

كلمة الدكتور/ سيد الدسوقى

العولمة وقضايا التقنية

عندما أردت أن أفهم طبيعة العولمة من الناحية التقنية فقد عملت على تحديد ذلك فى سبعة محاور:

المحور الأول: الميكنة أو الأتمتة التى تعنى لدىَّ البطالة وبالصدفة البحتة وأنا أفكر فى المحاضرة جائتنى مجلة من لندن تسمى دار السلام وبها مقال بعنوان: العولمة من أين وإلى أين: التقدم التكنولوجى فى فكر العولمة. وذكر فى المقال أن هناك ٨٠٠ مليون شخص يعانون من البطالة وهذا الرقم فى زيادة مستمرة وسيصل إلى منحنى حاد فى نهايات هذا القرن والشركات الأمريكية تسرح سنوياً نحو ٢ مليون عامل على الرغم من أن الشركات المؤتمته لاتتجاوز٥٪.

والذى تعنيه الأتمتة هو أننى أستعيض عن مائة عامل على سبيل المثال بروبوت يحتل مكان هؤلاء المائه دون حاجة إلى دفع أجور أو تأمينات اجتماعية.

والسؤال الذى نطرحه هنا هو: هل العمل غاية فى ذاته أم الإنتاج هو الغاية فى ذاته لأن تحدث ترفاً سلعياً شديداً للغاية ولقد تساءلت فى جامعة ستانلز عام ١٩٨٤ : ما الذى تريدونه منا أيها الغربيون فنحن لانريد سوى أن نأكل ونلبس فى بساطة ولكنكم تريدوننا أن نأكل بطريقتكم ونلبس بطريقتكم وعندما جاء الحديث عن العمل قلت: أنه حتى فى الكتب الأمريكية مثل كتب جوبز فإنه يقول عن العمل: إنك تجهِّز الإنسان على

أعلى مستوى من التأهيل المهنى ثم إذا به لايجد عملاً سوى أن يقف فى محطة وقود ليبيع بنزين أو يعمل كمدرس لغة بسيط. إن ذلك يصنع مجموعة من الإجهادات النفسية داخل الإنسان كفيلة لدفعه إلى الإنتحار. فالذين يتوافقون مع عملية الإنتاج المؤتمتة هم طبقة قليلة من المهندسين المتقدمين جداً القادرين على استخدام الكمبيوترات ووسائل التحكم المتقدمة أى أن ٩٠٪ من العمال على الأقل غير صالح لعملية الأتمتة ولايجد له مكانا فيها.

والعمل فى ذاته هدف إنسانى وإسلامى أيضاً ولابد أن يتوافق العمل مع مختلف القدرات البشرية وليس على بعض المهندسين ذوى القدرات الخاصة. والترف في حقيقته هو قلة العمل وكثرة السلع وذلك يزهق بروح الإنسان فالعمل ينبغى أن يكون لكل طوائف البشر فأى مجموعة بشرية بها مجموعة نابهة عقلياً ومجموعة تبرز مواهبها فى استخدام أيديها أكثر وأخرى فى استخدام اقدامها فلا يكون العمل بذلك مقصوراً على الذكاء الهندسى فليس وحده شريف البلاد ولكنه يصلح لمجموعة من الناس ولايصلح لأخرى والغرب عندما يفرض علينا العولمة فهو بالضرورة يفرض علينا الأتمتة وسأضرب لكم مثالاً واحداً فالبطاطس مثلاً التى يعلم الجميع كيفية صنعها هى الآن تأتمت وذلك بتحويلها ميكانيكياً إلى شيبسى.

وبالطبع فإن هذا المكن يكون آتياً من الخارج وأغلفة الشيبسى كذلك واردة من الخارج ومكسبات الطعم التى تضاف إليها ضارة للغاية وفى الخارج يجب أن يكتب على أغلفة مثل تلك المنتجات أنها خالية من مكسبات الطعم ومن المعروف فى كل الدنيا أن مكسبات الطعم هذه

تتسبب فى مرض السرطان. وفى النهاية فإن حبة البطاطس الصغيرة التى لاتقدر بخمسة قروش يبيعها لك بخمسين قرشاً. هذا أسهل مثال أقدمه للأتمتة التى يروج لسلعها التليفزيون الذى يردد كل يوم أغانى الإستعمار. نعم هذه الأغانى التى تروج لمثل هذه السلع فى الإعلانات ماهى إلا أغانى الإستعمار.

فموضوع العولمة ليس صعباً وإنما هو أبسط مما نتصور فالمسألة أنه يريد أن يتدخل فى أعمق أعماق الريف ليصل إلى الفلاح الفقير وزوجته المسكينة ليشاركهما فى كل شئ يفعلانه ويمنعهما من فعل أى شيء لايريده هو.

لقد سألت صديقاً أمريكياً: لقد زرتك فى الولايات المتحدة ورأيت أين تسكن وأريد الآن أن أحسب مساحة المنطقة التى تعيش فيها أنت وجيرانك إن خمسين أو ستين فداناً بها متنزهات كبيرة جداً لاتحوى سوى خمسين أو ستين فيلا بكل منها رجل وزوجته أى أن كل هذه المساحة لايستثمر خيراتها سوى حوالى مائة شخص. فكل ضنك تعيشه شعوب العالم الثالث هو رفاهية هناك.

أننى لست ضد الأمريكيين فقد عشت فى أمريكا عشرين عاماً وكل أولادى يحملون الجنسية الأمريكية لأنهم ولدوا هناك وفى واشنطن قلت فى محاضرة لى: أن الأتمتة كأحد آليات العولمة قد تؤدى بك فى البدء إلى الرفاهية ولكنها ستؤدى بك فى النهاية إلى الموت الزؤام.

وأريد أن أقول أن هناك فرق بين الأتمتة فى المفهوم الإنتاجى (أتمته الإنتاج) وبين الأتمتة فى القياس الهندسى وترقيته وجعله قياساً دقيقاً.

فالأقمار الصناعية تجمع فى أماكن بسيطة ليست مؤتمتة ولكن كل جزء فيها دقيق القياس إلى درجة بالغة ويصنع فى ورش رأيتها بنفسى ولاتختلف كثيراً عن المصانع البسيطة ولكنها مضبوطة من ناحية الهواء ومن ناحية (اليوالتى) ومن ناحية (الفيوتشر) أى أن الأتمتة ليست بالضرورة تقدمية. فمن الممكن أن تصنع السيارة بتجميع ورش بسيطة وبذلك نقيم الورش التى يعمل بها الناس ونقوم بتجميع تلك المنتجات أى أنه ليس من الضرورة تجميعها بالطرق الحديثة التى تستغنى عن الإنسان تماماً.. أى تأخذ الإنسان وتقذف به خارج الكون ولايبقى سوى مجموعة المستثمرين الذين يعيشون على ظهر هذه الأرضى.

المحور الثانى: الجرأة التجريبية.

فأى شئ لديهم قابل للتجريب: نقل الأعضاء أو تغيير خصائص أى نوع من الطعام أو استخدام أى نوع من الأسلحة.. كل الأشياء لديهم قابلة للتجريب دون أهتمام بنتائج ذلك على الإنسان أو البيئة وذلك يرتبط بالمجموعات الإقتصادية المغامرة. فالتنافس بين هذه الشركات يجعلها تفعل أى شئ من أجل تحقيق السبق فالعولمة لاقيمه لها إلا تحقيق أكبر قدر من الأرباح حتى ولو أدى ذلك إلى تجريب أى شئ مثل تجريب الأدوية التى تكسب شركاتها مليارات الدولارات حتى يكتشف الناس آثارها الجانبية الرهيبة كما هو حادث بالنسبة لما يروج الآن عن عقار الفياجرا.

والمثال الرهيب الذى يؤخذ على ذلك هو ما حدث فى حرب العراق والكويت فلقد سمعت من العلماء الأمريكيين أنفسهم أنهم كانوا يريدون أن يعلموا نتائج حدوث حريق كبير تستخدم فيه كافة الأسلحة فأحرقوا الكويت كلها ليعلموا نتائج ذلك وعلى إثر ما حدث تغير طقس العالم.

المحور الثالث: السيطرة الإقتصادية والإغواء الإقتصادى. والسيطرة تعنى شراء موارد الدول وموادها الخام بأقل الأسعار وإعادة تصنيعها وبيعها لنا بأكبر الأسعار ويضاف إليها فوق ذلك ضريبة الكربون وهى تعنى ضريبة تلوث أجوائهم نتيجة التصنيع.

والإغواء الإقتصادى يعنى أغواؤلك بمشاركتهم فى مشاريعهم الكبرى العابرة للقارات مثلما حدث فى تجربة النمور الأسيوية (وقد زرت هذه البلاد مثل أندونيسيا وماليزيا) فقد تم إغواؤهم بتصنيع أشياء كل مكوناتها التكنولوجيا من الخارج بل وعملوا على فتح أسواق لهم لكى ينطلقوا وراءهم وفى الوقت المناسب يقطعون عليهم كل هذه الأمور فلا يستطيعون مواصلة تلك المشروعات فيخسرون نتيجة ذلك عشرات المليارات لأنهم تابعوا أثارهم ولم يتهموا بالناحية الوضعية وكونوا طبقات من الغلماء فعملية الإغواء هذه عملية مهمة حداً خصوصاً فى البلاد التى تحكمها نخب من الذين يظنون أنفسهم أنهم يفهمون وليس هناك من يفهم غيرهم مثل الذين يقودون بلادنا وكثيراً ما ينتج عن هذا شئ من الرواج الإقتصادى الآنى ثم ينقلب الأمر على عقبه وقد زرت اندونيسيا وماليزيا واعرفهما جيداً وفى الحقيقة فإن مصر بها من الخبرات العلمية ماهو أكثر من البلدين ولكنهم نواقده مصنوا فى طريق هذه المشروعات الضخمة هذا إضافة إلى الفساد وأشياء أخرى وأنا لا أحلل هنا التجربتين ولكن من أهم أسباب ما حدث هو الإغواء الإقتصادى الذى لايقوم على الحياة العلمية المتينة.

المحور الرابع: الإعلام بالسحر.

وأعتقد أن هذا الإعلام يشبه بالفعل السحر الذى واجهه سيدنا موسى، هل تصدقون آن مستوى الإعلان فى الإعلام المصرى أكثر وقاحة من

الإعلان فى الإعلام الأمريكى وقد لمست ذلـك بنفس فى زياراتى لأمريكا. والذى ينظر إلى وقاحة إعلامنا وإيحاءاته الجنسية يظن أن هذه البلد لـم تعد بها أية حدود ولم يعد بها دين أو خلق.

المحور الخامس: حواف التقنية.

أى أننا لن نستطيـع منافستهم. والحقيقة أننى يكفيـنى أن أحتفظ بسوقى العربى والإسـلامى ولكنهم يعـطوننا منتجا كـى نصنعه ويكون تـطويره فى يدهم وعندما نجهد أنفسنا فى تصنيعه يقومون فى اليوم التالى بتطويره ومن ثم يمضى كل مجهودنا فى التصنيع وما أنفقناه فى ذلك أدراج الرياح.

ولى كلام فى موضوع التنمية حيث قلـت فى محاضرة سابقة أن التنمية أنواع: تنمية البقاء - تنمية الإنماء - تنمية السبق.

وقلة من الدول الآن هى الـتى تتحرك فى تنمية السـبق أما أغلب الدول فإنها تتحرك فى تنمية البقاء فمـن الذى قال أن علينا أن نفكر بمنطق الغرب المادى لكى تستهدف مـن تنميتنا توفير تلك السلع الإستهلاكية؟! إننى لـم أقابـل أحداً فـى أمريكـا يقـول: يارب ويكـفيـنى أن أقـابل إناسـاً ليـسوا مستهـلكين على النـمط الغربى لكنـهم يقولون: يارب. وهذا فـارق عظيم وعلى الرغم من يسـر معيشتى الخاصة فى أمريكا لـكنى أريد أن أعيش فى هذا الـبلد وأموت فـيه وأرجو مـن الله أن يحشرنـى مع أهلـه الطيبـين ولا أعيش فى أمريكا صاحبة ذلك المنطق المادى.

وأرفض ذلك المنطق المـادى الإستهلاكى الذى يدعو إليه بـعض العلماء الذين يمـنحون الجوا ئز العالمـية لأنهم يفكرون ذلـك التفكير ولعـلاقاتهم المفهومة بالتطبيع.

المحور السادس:

غياب العنصر الإخلاقى والعنصر البيئى. يقول الله تعالى فى سورة النمل: ﴿حتى إذا أتوا على وادى النمل قالت نملة: يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم﴾ فيسمع ذلك سليمان عليه السلام فيبتسم سليمان من قولها فهذه حضارة تسمع لغة النمل ومنطق الطير والله يعلمنا بذلك أن أعظم ضابط مخابرات كان هو الهدهد. والذى لم يكن مجرد ناقل للمعلومات إنما كان فيلسوفاً يكلم الملك بكل قوة: ﴿إنى وجدت امرأة تملكهم﴾ وكلمة تملكهم هذه لخصت نظام الحكم كله فقد دلت على مدى استبداد هذه المرأة مع أنها بالنسبة لظروفنا الحالية تبدو عظيمة جداً فقد قالت: ﴿يا أيها الملؤا أفتونى فى أمرى ما كنت قاطعة أمرًا حتى تشهدون﴾. ورغم ذلك اعترض على وضعها وظل يتكلم عن الدين والحضارة. فالأمثلة التى يعطيها لنا الله فى القرآن هبة منه لأنبيائه ولكن من الممكن أن نصل إليها نحن بالجد والعمل كما يقول القرآن: ﴿وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم». الأنبياء أوتوها لأنهم ذو حظ عظيم فكأن الله ينبهنا أننا من الممكن أن نصل إلى هذه الهبات بطريق العمل ولذلك بدأ الناس نيتهون إلى أنه من الممكن أن يجيدوا لغة الطير.

وعند عودتى من واشنطن قرأت فى مجلة كانت مع أحد الركاب بالطائرة عن شخص كانت صورته منشورة بها أنه قد منح أعظم جائزة فى أمريكا لأنه أعظم عالم فهم النمل ويقول هذا الرجل: أنه لولا النمل لتعطن وجه الأرض وما كانت هناك حياة. فهذا النمل صاحب رسالة فهو من جند الله ﴿ولله جند السموات والأرض﴾ فقضية البيئة قضية كبيرة وخطيرة وهذه الحضارة المعاصرة لاتريد أن تراجع نفسها. فأصحاب المصانع الذين

يخلفون كل تلـك السموم والأوبئة من أجل تحقيق مكاسبـهم لن يتراجعوا عن مواقفهم وكأنه يتحقق فيـهم قول الله تعالى: ﴿يوم يدعون إلى السجود فلا يستطيعـون﴾ وكما يقول الله تعالى: ﴿وحرام على قرية أهـلكناها أنهم لايرجـعون﴾. إنهم لايـستطيـعون الرجـوع عما مضـوافيه من إفـساد لأن الرجـوع يعنـى الإقلاع عـما يفـعلون. وقـد قالـها جيـرد لكى فـى كتـابة (الآنتروبى): إن الحل لهذه الحضارة من بدايتـها إلى نهايتها هو أن تعود إلى ما قـبل الثـورة الصنـاعية. وجيـردلكى هـذا رجل أمريـكى فمـن ذا الذى يستطيـع أن يحل هذه المشكلة؟!: الـبيئة تتلوث كل يـوم.. الأرض تنتقص خصوبتها كل يوم.. والأخلاق تفسد كل يوم فماذا نحن فاعلون؟.

المحور السابع: الضخامة الإنتاجية والتسارع الزمنى والمكانى.

المشاريـع الكبرى ضـخمة جداً وضـخامتهـا فوق قدراتنـا الإدارية وهم لديهم علوم الإدارة الحديـثة يفعلون بها ما يشاؤون. ونحن مـعظمنا قد جاء من الفلاحين منذ عشرين أو ثلاثين سنة وهذا يعنى أنه مازال أثر الفأس فى أيد كثيرة بنينـا وكما يقول أحد العلماء الأمريكيين إننـا لانريد النظم التى تجعل الإنسان مسحوقاً فى داخله فلابد أن يكون حجم الإدارة الذى نقوم به حجماً معقولاً لـقد قلت لمجموعة من كبار الإقتصـاديين: أن لدى امرأة فى المعادى تصـنع خضروات فوق (قفـصين) قيمتهـا خمسة أو ستة جـنيهات وتبيـعها بعشـرين أو ثلاثيـن جنيهـا فى اليوم أى أنهـا تكسب مائـتين أو ثلثمائة فى المائة يومياً فإذا ضربنا ذلـك فى ثلثمائة وخمسين يوماً فإن ذلك يعنى أنها تـكسب سبعين أو ثمانيـن ضعفاً فى السنة الواحدة ثـم يقول لنا رجال البنوك أن الـربح ٧٪ أو ٨٪ إن ذلك هو النهب. فالـبنوك قد صارت

طريقاً سهلا بل مصيدة لنهب أموال الناس وهذه المشاريع الكبيرة تجعلنا فريسة للصقر ولابد أن نأخذ أنفسنا بهذا الأمر.

وعلى سبيل المثال فإن المحلات الصغيرة أفضل كثيراً للإنسان من المحلات الكبيرة (السوبر ماركت) وأنا أحب أن أدخل السوق بدلاً من أن أدخل هذا السوبر ماركت.

أن المعركة ليست سهلة. فالعولمة هى السلاح الذرى الذى يستخدمه الأمريكيون الآن لغزونا: هل تعلمون أن استخدام التليفون المحمول فى مصر أكثر منه فى أمريكا وأن انتشار التليفزيون والفيديو فى مصر أكثر منهما فى أمريكا أيضاً. لقد دخلت بيوتا كثيرة فى أمريكا ليس بها تلفزيون. فهؤلاء أناس ليس لديهم فراغ يستهلكونه بمشاهدة التليفزيون .

وعلى الله قصد السبيل

كلمة الدكتور/ مجدى قرقر:

العولمة لها أثران سيئان بشكل كبير غير الآثار الضارة الأخرى.

الأثـر الأول: هو ضـرب دور الدولـة الوطـنيـة فى المجـال الإقتـصادى والسياسى.

الأثر الثانى: هو ضرب الهوية الثقافية للأمة.

وبالنـسبة للأثـر الأول فإن الشركـات المتعددة الجـنسيات أدى تـطورها وتضخمهـا إلى تعميق العولمة اقـتصادياً وتعدد أنشطتـها فى كل المجالات: الإستثـمار والإنتاج والنـقل والتوزيع والمضـاربة ووصل الأمر إلى أنـها قد صارت تؤثر فى القرار الـسياسى والبعد الثقافى والمعـرفى وفى ظل العولمة استطـاعت هـذه الشـركات الإسـتفـادة من فـروق الأسعـار.. من نـسبـة الضرائب.. مـن مستوى الأحور لتركـيز الإنتاج فى المكـان الأرخص وبعد ذلك ينقـل الإنتاج إلى مكان الذى يكـون فيه مستوى الأسعار أعـلى ويتم تسويقه هناك ومن هنا كان مصطلح العولمة.

أما بالنسبة للأثر الثانى فقد بدأ التطبيق الإعلامى والمعلوماتى الواسع فى ثورة الإتصالات التـكنولوچية وامتلأ الـفضاء الخارجي بالأقمار الـصناعية وهذا ما جـعلنا نشتـرى قمراً فى الفـترة الأخيرة قبـل امتلاء الفضاء بـهذها الأقمار ويتم الآن بث الحـملات الإعلامية من خلال هذه الأقمار الـصناعية وبرامج الحاسب الآلى والانترنت. ولأن الشعـوب تتأثر بذلك بدرجة كبيرة فلابد أن نعمل على التصدى لتلك الحملات.

والهوية الثقافية أعتقد أنه يحددها ثلاثة خصائص: خصوصية الزمان ثم خصوصية المكان ثم الخصوصية الحضارية.

فإذا كانت العولمة من الممكن أن تؤثر على خصوصية الزمان بالإتصالات وغير ذلك بعض التأثير الضعيف وإن كانت تستطيع أن تأثر أيضاً ولو قليلاً على خصوصية المكان لكنها لاتستطيع أن تؤثر على الخصوصية الحضارية للشعوب لكى تجعلها تذوب جميعها فى وحدة واحدة كما يقولون لأن هذه الخصوصية الحضارية تمتد لمئات وألاف السنين وبالتالى فهذا التخوف ليس فى محله ومع ذلك فإننا يجب أن نأخذ ذلك فى الإعتبار.

والأقمار الصناعية العالمية مقرر لها أن تنقل إليك قنواتها دون دش أو خلافه العام القادم والسؤال الآن هو ما الذى يجعلنا نحن ندير الزر إليها؟ فلو أن مساحة الحرية زادت فى التليفزيون أو فى الإذاعة أو فى الصحافة لم نحتاج إلى هذا التغيير لكن عندما تتحول البرامج إلى تسبيح بحمد السلطة الحاكمة فإنك ستذهب إلى القنوات الأخرى.

ويقول الإقتصاديون أن هناك ٣٠٠ مليار دولار تتحول يومياً فى ظل العولمة أموال هائمة سابحة دون صاحب عن طريق (الفيزاكارت) والإنترنت. والتدهور الذى حدث فى كوريا على سبيل المثال كان بسبب هذه الأموال الهائمة فقد أخذت قرضاً يزيد على ثلاثة أضعاف الإحتياطات الكورية وقد كان من الممكن حل هذه الأزمات فى ظل الإقتصاد الكورى القوى أو بإعادة الجدولة مع البنوك لكن المؤسسات المالية التابعة للنظام الدولى مثل صندوق النقد والبنك الدولى فرضت تعليماتها على كوريا بحكم اقراضهم لها وبحكم أنهم اليد العليا وسياسة البنك الدولى هى على الدوام سياسه إنكماشية وهكذا طلبوا منهم إعادة هيكلة الإقتصاد ومساواة وضع المستثمرين الأجانب مع المستثمرين الوطنيين وهو الأساس الذى

صدر عليه قانون الإستثمار فى كوريا (وقد صدر فى مصر قراراً مثله) وصدر فيها أيضاً قانوناً بخصخصة البنوك ومشاركة رأس المال الأجنبى وإسقاط أى ضوابط على الواردات التى تحمى الصناعات الوطنية ثم تعديل قانون العمال وفصل العمل أو تغيير نشاطهم وإعطائهم المعاش البديل. وهكذا تتدخل البنوك المقرضة والهيئات المقرضة فى القرار السياسى للدولة ومن هنا يغيب دور الدولة القيادى ولا أقصد بذلك أن هذا الدور يغيب تماماً لأن العولمة لن تؤثر كثيراً على الدولة المركزية فلديها الأمن والجيش والإعلام ولكن الدور الوطنى فى القرار السياسى هو الذى يتأثر بالعولمة. بل إنهم من الممكن أن يعملوا على تقوية الجانب الأول على حساب الجانب الوطنى فيعطون لهذه الحكومات أحدث وسائل التصفية الجسدية مادام ذلك يساعد فى تقوية دور الدولة المركزى مما يسهل إضعاف دورها الوطنى وبالتالى فإن ميزان المدفوعات المصرى كان يعانى عام ٩٥ عجزاً قدره ٤ مليار دولار ولكنه قفز فى العام التالى إلى ٩٫٥ مليار دولار فى السنة المالية وعلى ذلك فإن صندوق النقد قد طالب بزيادة الإستثمار فى مصر من نصف مليار دولار إلى خمسة مليارات دولار أى حوالى عشرة أضعاف وفى هذا الإطار تم تقديم تسهيلات كبيرة أخرى مثل خصخصة البنوك وشركات التأمين واستفادة الإستثمارات الأجنبية من الإمتيازات التى يستفيد منها الإستثمار الوطنى. والدولة تعمل على سداد هذا العجز بموارد قلقة غير مستقرة مثل المساعدات والمعونات التى يهددوننا بقطعها مثلما فعل الكونجرس الأمريكى بربط هذه المعونات بما سماه قضية الإضطهاد الدينى فى مصر وكذلك قطاعات أخرى مثل السياحة وعندما ضربت السياحة فى مصر فإن ذلك أثر على اقتصادها تأثيراً كبيرا مما يدل على عدم

استقرار ذلك القطاع وأيضاً فإن اسعار النفط تتذبذب الآن تذبذباً كبيراً بحيث أن التنمية الحقيقية هى فى الأرض المصرية والقوى البشرية أى فى الزراعة وفى الصناعة الوطنية فالقطن مثلاً كان فى الستينات يزرع منه وأحد ونصف مليون فدان فتقلص ذلك الآن إلى ٨٨٠ ألف فدان فى العام الماضى وإلى ٦٥٠ ألف فدان هذا العام حتى أن إسرائيل وتونس قد صارا الآن سابقتين لنا فى إنتاجية القطن وكل ذلك لصالح الكنتالوب والخيار والفراولة وبحجة أن هذه الأشياء سيعاد تصديرها ولكن هذه الأمور ينبغى ألا تحتسب بعائداتها الآنية فالسعودية مثلاً وهى دولة غير زراعية أصرت على زراعة القمح حتى ولو كلفها أكثر من تكلفة استيرادها أى أنه يجب إعادة موازنة الأمور على أساس تنمية البقاء كما يقول الدكتور سيد دسوقى. ويغدو الأمر هو: هل سنعيش أم سنموت لأننا مهددون فى أرزاقنا ومهددون فى بقائنا فيجب أن تكون الأولوية الأساسية لتنمية البقاء.

وبالطبع فإن الإستراتيجية المواجهة للعولمة هى استراتيجية الإعتماد على الذات التى تقوم على تنمية البقاء وتنمية النماء (إذا استطعنا إليها سبيلاً) أما موضوع تنمية السبق فإنه سيكون نوعاً من الترف الذى نحن فى غنى عنه لأننا نريد أن نعيش فى ظل التحديات التى تواجهنا.

وهذه الاستراتيجية يجب أن تعتمد على مواردنا المحلية واختيار التكنولوجيا المناسبة التى تحدث عنها الدكتور الدسوقى وهى التكنولوجيا قليلة رأس المال كثيرة العمالة فهذه هى التكنولوجيا التى تناسبنا وليس التكنولوجيا الغربية كثيفة رأس المال قليلة العمالة التى تعتمد على الكمبيوتر (مما يؤدى إلى مضاعفة البطالة) وكذلك التصدى للفساد المالى للبنوك.

ثم جاء تعقيب الدكتور حمدى مرزوق الذى قال:

سأتحدث من خلال عملي الجامعى فى زراعة الأسنان عن مشاهداتى لمظاهر العولمة الراهنة. فنحن فى زراعة الأسنان نستخدم كتالوجات محددة وفى أحد المرات وجدت (الاستيكر) المكتوب على أحد أطقم الأسنان صناعة سويسرا وعندما نزعت ورقة الاستيكر وجدت المكتوب تل أبيب. أى أن ما يزرع من أسنان فى مصر هو صناعة تل أبيب. وقد وجدت أن الذين يعملون معى كثيراً ما يجدون مثل هذه الأمور.

ولكن انظروا إلى ما هو أخطر من ذلك وهو المتعلق بسرقة التكنولوجيا فمنذ عشرة سنوات وجدنا بالجامعة دعوات تطلب باحثين فى ألمانيا وأمريكا يمنح أصحابها مزايا كبيرة ومشروعها الأساسى أن تقدم خطة بحثية وعند الموافقة عليها يقومون بتطبيقها فوراً كاملة وبعد أن نتقدم بالبحوث يأخذون من ربعمائة أو خمسمائة باحث بعض الأشخاص المعدودين دون أن نعلم ماهى بالضبط المعايير التى يتم اختيارهم على أساسها. وهل هناك روابط محدده بينهم وبين هذه الهيئات الغربية أم لا؟. ولكن المفاجاة الكبرى هو أننا نفاجأ بعد عدة سنوات من تقديم هذه البحوث أنها منشورة بالكامل فى مجلات غربية ومنسوبة إلى أشخاص غربيين. وما يحدث فى مجالنا يحدث فى كل المجالات. فكل ما يدور فى عقول الباحثين فى كل الجامعات المصرية يقدم بالكامل إلى جهات أجنبية بهذه الوسيلة.

ولكن هناك أمثلة أخرى عن الآثار المخربة للعولمة لدينا فالأبحاث العلمية تحدد لها ميزانيات معينة وعندما يقوم الباحثون بأعمالهم يفاجئون

بتخفيضات فى الميزانية تعيق استكمال هذه الأبحاث وإذا تساءلت: لماذا هذه التخفيضات؟! يقال لك على سبيل المثال إنه يتم انتقاص الميزانية بسبب قيام مصر باستضافة بطولة العالم للناشئيين فى كذا. فتعطل الأبحاث لمدة سنة أو سنتين ومن ثم يقضى عليها ويتم سرقتها من جانب الشركات الأجنبية.

وعندما ينظر إلى ميزانيات الجامعات المصرية والتى يحددها مفكرونا من أمثال تجار المخدرات فى مجلس الشعب ونواب القروض نجد أن ميزانياتهم فى مجل الشعب تصل إلى ٦٢ مليون جنيه بينما الميزانية الكاملة لجامعة مثل المنصورة أو الزقازيق لاتزيد على العشرين مليوناً أى لكى يفعل هؤلاء النواب مايشاءون من رحلات وخلافه فإن ميزانيتهم تتجاوز ميزانية ثلاثة جامعات مصرية هذا بخلاف مجلس الشورى وغيره.

أما بالنسبة لما يتعلق بتكنولوجيا العولمة وصندوق التنمية فإنهم مثلاً يبيعون لنا جهازاً لتثبيت أصول العرض ثمنه ألفين من الجنيهات ولكن الشريحة التى نحتاجها للعلاج والتى يعرضها الجهاز يبيعونها لنا بسبعمائة جنيه أى أنه يعطيك جهازا تستورد من خلاله شرائح عظم بنصف مليون جنيه أى أنه لايستغلك علمياً فقط ولكن اقتصادياً أيضاً.

وتجد خريجين دون المستوى يقبضون الفين دولاراً فى الشهر فى العمل لدى الهيئات التابعة للخارج ويسافرون بشكل مطرد إلى أمريكا وفرنسا ودول الغرب ليقوموا بأبحاث فى الصعيد والمناطق المختلفة تقدم كاملة إلى الهيئات الغربية وتصل فى النهاية إلى الإستخبارات الإسرائيلية. فهم يريدون أن يعرفوا ما هى الأشياء التى تتأثر بها صحة المصريين

ويستخدمون هؤلاء للقيام بأبحاث معينة لايدركون أهدافها وعندما نسألهم عن هذه الأهداف يقولون: لاندرى ولكنها مطلوبة منا. وفى هذه الأمور يكون إنفاق أموال المعونة التى من خلالها نخرب بيوتنا بأيدينا.

وما أريد أن أقوله بالنسبة لضرب الهوية الثقافية أنها مسألة لايمكن تقييمها بالمال لأننى إذا كان لدى ولد أريد له الخير فهل أترك له مليون جنيهاً دون تربية أو تقويم حتى لايكون فاشلاً؟ أم أقوم بتربيته تربية سليمة حتى ولو لم أترك له مليما؟. أعتقد أن التربية والتعليم الدقيق أفضل من المليون جنيه إذن فالهوية الثقافية والعلمية هى أهم شئ وينبغى أن يكون موقعها فى الإهتمام الأول وقبل الجانب الإقتصادى.

تعقيبات أخرى

تعقيب الدكتور طارق حلمى

ثم تحدث الدكتور طارق حلمى فقال:

أرى أن هناك قوى دافعة داخل الإنسان مصدرها أنه كان يعيش فى الجنة وهذا ما يبعث فيه الشعور بالألم ويدفعه دائماً لأن يقيم فى الحياة الدنيا فردوساً يحاكى به الفردوس الذى كان يعيش به فى الجنة ودون أن يشغلنا ذلك عن فردوس الآخرة. وفى الحقيقة فقد بهرتنى محاضرة الدكتور الدسوقى ولقد قرأت له الكثير من الكتب ومن هنا فإن تعقيبى سيتناول محاضرته بوجه خاص.

فانطلاقا من الرؤية التى تحدثت عنها لا أجد عيباً فى أن تنتج لنا الحضارة الغربية فى تجدد دائم كل هذه التقنيات المستحدثة فى المشارب والمطاعم والملابس والتسلية والترفيه فآخر مراحل الدنيا هى أولى مراحل الآخرة ولكن الخطأ هو فى الغلو فى هذه الأشياء واضرب بذلك مثالاً بالتكييف فهو وسيلة رائعة لدفع الشعور بالحرارة ولكننى عندما أجد التكييف فى العمل والبيت والسيارة فإننى بذلك سأعطل قدرات التكييف الطبيعية التى خلقها الله فى جسد الإنسان والعضو الذى لايستعمل يضمر.

ولا أعتقد أن هناك عيباً كذلك فى أن أُريح الإنسان كما يفعل التقدم التكنولوجى فى وسائل التصنيع المتعلقة بالميكنه ولكن العيب هو ألا أوفر فرص العمل المناسبة بالنسبة للعمال الذين يفقدون وظائفهم بسبب تقدم الميكنة. والعمل بالفعل قيمة فى حد ذاته وهذا يعنى أننى لست ضد الراحة

التى تقدمها التكنولوجيا ولكن ينبغى ألا يكون ذلك على حساب إيجاد فرص العمل الملائمة للإنسان.

تعقيب الدكتور خيرى رقوة.

ثم تحدث الأستاذ الدكتور خيرى رقوة عضو جبهة علماء الأزهر فقال:

أرى أن العولمة هى محاولة لجعل الأمم عالماً واحداً ليس للناس فيه إلا توجه واحد من مصدر واحد هو المصدر الذى يريد أن يهيمن على العالم أجمع. والتساؤل الآن هو عن دور مؤسساتنا نحن فى العالم الإسلامى بالنسبة لذلك فهل دورها هو الإستسلام لهذا الأمر والإستقبال له؟! فأنا أرى أن هناك أموراً كثيرة تفرغ من مضموناتها القيمية الإسلامية عندنا لتتناسب مع هذه الفلسفة ونسمع بعض المسئولين لدينا يقولون: إننا الآن نعيش فى عالم القرية الواحدة وكأن الأمر لديهم قد غدا استسلاماً كاملاً لهذا المفهوم. وبالتالى فإن مناهج التعليم ومناهج التربية ومناهج غيرها كثيرة تطور وتغير بالطريقة التى تتناسب وتتوافق مع مفاهيم العولمة أى أنها عملية إلغاء لكل الثوابت الموجودة عندنا التى ورثناها وعشنا عليها من المفاهيم والقيم الإسلامية وقد تابعنا جميعاً التصريحات التى زعم من خلالها الغرب أنه بعد سقوط الشيوعية فإنالعدو الأكبر له هو الإسلام وهذه العولمة تعمل على القضاء على هذا العدو الأكبر.

ولكن نحن فى مقابل ذلك نقدم العالمية لأن ديننا دين عالمى لكننا نقدم مفاهيمنا وقيمنا إلى العالم دون ظلم أو تعسف أو اعتداء أو تعصب واستعمار وقد استقبلت الإسلام أمم كثيرة فى التاريخ لأنها علمت عنه ذلك فإن كان هناك من يريد الهيمنة على العالم فلابد أن نتسائل ماهى

القيم التى لديه لتكون هيمنته هذه مقبولة. فلو أن لديه القيم التى يطمئن اليها الضمير العالمى لاطمئنت إليه الشعوب ولكن ليس لديهم ما يقدمونه سوى الحقد والإستعمار وامتصاص خيرات الشعوب والعمل على القضاء على العدو الأكبر المتمثل فى الإسلام.

تعقيب الأستاذ حسن طايع.

ثم تحدث الأستاذ حسن طايع فقال:

أرى أن هناك إجماعاً من المحاضرين على أن العولمة لها أثرها الكبير فى الإعلام والثقافة والقيم ولقد أثارتنى، كلمة الدكتور الدسوقى التى يقول فيها: أن العولمة لاقيم لها أما الدكتور مجدى قرقر فقد قال: أن من أهم أثار العولمة ضرب الهوية الثقافية فانظروا الآن إلى أطراف المعادلة: هم يملكون إعلاماً بلاقيم ونحن نملك قيماً بلا إعلام. فهل من الممكن أن نستخدم آليات العولمة المتقدمة فى نشر رسالتنا على العالم؟ إننى أتفق مع الدكتور/ طارق حلمى بأن لدينا بديلاً للطاقة الغربية هو الطاقة الروحية وعلينا أن نبحث فى خطوات التطبيق من أجل بعث هذه الطاقة إلى العالم. وأرى أن أولى هذه الخطوات هو العمل على إنشاء القنوات الإعلامية الإسلامية التى تبث هذه الطاقة وتنشر المفاهيم الإسلامية على العالم.

الجلسة الثالثة

العولمة والصراع
بين
الإسلام والغرب

رئيس الجلسة: الأستاذ الدكتور/ صلاح عبدالمتعال

المتحدث الأول: المفكر الإسلامي الدكتور عبدالوهاب المسيرى

المتحدث الثاني: المفكر الإسلامي الدكتور أحمد عبدالرحمن

المتحدث الثالث: محمد إبراهيم مبروك

المعقب: الأستاذ الدكتور محمد عبدالمنعم البرى رئيس جبهة العلماء بالأزهر سابقا

كلمة الدكتور عبدالوهاب المسيرى

العولمة والشرق أوسطية

بداية يجب أن ندرك أن مسألة العالمية.. العولمة.. التعميم هى جزء من منظومة فكر الاستنارة ففكر الاستنارة كان يدور فى إطار الإنسان الأممي.. الإنسان العالمى وجوهر فكر الاستنارة هو أن يتم القضاء على الخصوصيات تدريجيا أى أن نصل إلى نوع من الإنسانية العامة وهذا متجذر فى الفكر المادى لأن الفكر المادى بطبيعته فكر تعميمى فالمادة جامعة للإنسان والحيوان والطبيعة أى أن الفكر المادى بطبيعته فكر يتجه نحو القانون العام.. القانون الذى لا يميز بين ما هو إنسانى وما هو غير إنساني.

فالعولمة كامنة فى منظومة الإستنارة والفكر المادى بشكل عام. والذى حدث أنه فى المرحلة السابقة عن عام ١٩٦٥ تمكنت الحضارة الغربية من فرض نفسها على العالم ومن ثم لم يكن فكر العولمة هذا فى صالحها على الإطلاق ولهذا تبنت الفكر الأمبريالى وفكر الخصوصية القومية وتفوق الإنسان الغربى وطرحت شعارات مثل الإنسان الأبيض ورسالته الحضارية وتمت التجربة الاستعمارية فى إطار الخصوصية الحضارية الغربية وما تتميز به من تفوق على الحضارات الأخرى ولكن حدث بعد عام ١٩٦٥ - ولا أعنى بذلك هذا العام على وجه التحديد ولكن أعنى بذلك منتصف الستينيات إنتقال كبير فى هذه الحضارة وجوهر هذا الانتقال هو ما أسميه الانتقال من مرحلة الصلابة إلى مرحلة السيولة بمعنى أن الحضارة الغربية التى كانت واثقة من نفسها تماما قد فقدت هذه الثقة وبعد أن كانت متمركزة حول نفسها فقدت هذا التمركز حول الذات وهذا يعود لأسباب عديدة نوجزها فيما يلي:

علـى المستوى الـعسكرى فـقد أدت مرحلـة الحرب الباردة إلـى إرهاق الكتلتين العظميين لأن سباق التسلح ثبت أنه سباق مكلف للغاية للكتلتين حتى أصبح من العسير عليهمـا الاستمرار فى ذلك فقد أدى فى النهاية إلى إجهاد الإتحاد السوفيتى وإى عدم قدرة الـولايات المتحدة على مواكبة ذلك فالبلايين تنفق كل عام على أسلحة لا تستخدم.

من نـاحية أخـرى فقد لاحـظت ـ ولاحـظ معي آخـرون ـ أن المنظـومة العلمانية توجهه نحو اللذة. فالإنسـان الغربى بدأ ينتقل من مرحلة اللذة إى مرحلة السـيولة ومن ثم بدأ توجيـهه نحو اللذة يزيد ممـا أدى إلى أن النزعة الطوباوية عـنده والتى تعنى الرغبـة فى إنشاء حضارة ضخمة تـسود العالـم تراجعت وأصبح الإنسان الغربى منغلق على ذاته يبحث عن متعة دائمة ولا يفكر ومن ثم أصبـحت القوات العسكرية الغربية غـير قادرة على الدخول فى حروب ولعل الحرب الأخيرة فى الخليج كـانت تأكيداً كبيراً لذلك. فهم يرسلون مئات الألوف من الجنود ثم يؤكدون لهم أنهم لن يحاربوا وتصبح المشاكل الأساسية هى العمل على عدم إدخال جنودهم أنفسهم فى الحروب والاستعـاضة عنهم بالـتكنولوجيـا العسكريـة. هذا يدل على مسـتوى من الرفاهية المرتفع للغاية يجعل من الصعوبة بمكان الدخول فى حروب.

وكذلك فإن ظهور دول نووية خارج المعسكـر الغربى مثل الصين والهند وباكستـان جعل الحرب ذات مخاطر غـير محمودة وكذلك ظـهور وسائل دمار رخيصة مثل الصواريخ ذات الرؤوس المكروبية وهكذا.

وعلى المستوى الثقافى نجد أن الهيمنـة الغربية الثقافية بدأت فى التراجع والنـموذج الـغربى لـم يعـد جذابًا لا بـشخصـه الرأسـمالى ولا بـشخـصه

الإشتراكى بمعنى أن الاحتراق الداخلى لهذه الحضارة قد حدث فالنظام الإشتراكى قد انهار والنظام الرأسمالى أصبح فى أزمة شديدة.

وإلى جانب هذا فقد أدرك الغرب أشياء مهمة.. وهى أن هناك عناصر من العولمة الحقيقية أدت إلى مخاطر جمة مثل الايدز والإنترنت والبيئة وكل هذه مشاكل ذات طابع عالمى وليس محلي.

والعولمة ذات طابع مادى تجعلنا نواجه مشاكل من نوع (عالمي).

وهناك شيء آخر أدركه الغرب وهو أن هناك نخب محلية كبيرة مستعدة للتعاون معه وبالتالى أصبح التعاون معها أرخص بكثير من الدخول فى حروب.

وعلى المستوى الاقتصادى حدث تراجع بظهور مراكز اقتصادية أخرى قوية مثل الصين والنمور الأسيوية التى تم القضاء عليها مؤخراً من خلال تجارة العملة وما شابه.

لكل هذا فإننى أعتقد أن الغرب قد قرر عدم المواجهة واللجوء إلى الإغواء بدلاً من المواجهة وجوهر هذا الإغواء أن يخبر الناس أننا سواسية وأن هناك نظام عالمى جديد وأن هناك عدل وأن هناك حقوق إنسان وأن العالم قرية واحدة وأنه تسوده مجموعة من القيم العالمية وهذا فى الحقيقة ليس أكثر من أكاذيب مثيرة للسخرية لأنه من غير المعروف على سبيل المثال ما هي إسهامات أفريقيا فى قيم ذلك النظام العالمى الجديد وفى العولمة.

فالعولمة التى نعرفها تتمثل فى الهامبرجر والكوكاكولا وفى الماكدونالز وما شابه.

وبالمناسبة هذه السلع ليست أمريكية بل ومعادية حتى للحضارة الأمريكية ولذلك فالعولمة تفضل السهل على الجميل تفضل السهل على الأخلاقي.. تفضل الإستسلام والتكيف على المقاومة ونجد مظاهر ذلك في استخدام العاميات الآن مثل استخدام العامية المصرى فى الإعلانات بدلاً من الفصحى وأعتقد أن هذا الأمر الذى بدأ منذ سنتين تقريبًا يمثل شكلاً من أشكال الاستسلام هذا الذى هو جزء من منظومة العولمة.

فالعولمة فى جوهرها تعنى بالفعل عبادة السهل على حساب الحقيقى على حساب الأخلاقى ونلاحظ هنا أنه بدلاً من الصراع والبقاء للأقوى أصبح الأمر الآن البقاء للأسهل ففهى منظومة مبنية على الاغواء ويساعدها فى هذا أن النخب المحلية في العالم الثالث والتى قد تم تغريبها عبر الأجيال السابقة تمضي في هذا الإتجاه فعندما نقارن التكوين الثقافى لـ«سعد زغلول» بالتكوين الثقافى لـ«مصطفى النحاس» بالتكوين الثقافى لـ«جمال عبدالناصر» ثم التكوين الثقافى للرئاسات الآن سنجد أن هناك خطا بيانيًا هابطًا باستمرار نحو مزيد من التغريب وأبناء النخبة الحاكمة الآن فى حالة تغريب في حالة سيولة وما أقصده هنا هو التغريب بالتحديد وليس التنصير وأنا أرجوكم الإهتمام بالتفرقة بين الأمرين لأن التغريب لايوجد داخل المؤسسات الأمريكية فقط وإنما يوجد داخل المؤسسات المصرية أيضًا وربما بشكل أكثر شراسة. ووجود هذه النخب الحاكمة جعل شعار العولمة شعارًا من الممكن طرحه والذى يعنى أننا نعيش جميعا فى قرية صغيرة تحكمها مجموعة من القيم الواحدة وجوهر ذلك أنه ينبغى أن نتاجر سويًا لا نتصارع ونتمتع سويًآ لأن جوهر المنظومة العلمانية فى اعتقادى هو ما أسميه الإنسان الاقتصادى والإنسان الجسمانى ونجد فى إعلانات

التليفزيون بلورة لهذا فاعلانات التليفزيون هى محاولة لبيع السلعة من خلال الجنس بمعنى التوجه إلى الإنسان الاقتصادى من خلال الإنسان الجسمانى ولذلك نجد أنهم يبيعون لنا المبيدات الحشرية من خلال الشقراوات اللاتى يقفزن ويتراقصن دون أن يكون لذلك أى علاقة بالمبيد الحشرى ولكن آدرك العاملون فى قطاع الإعلانات أن هذه هى الخلطة التى لا يمكن هزيمتها لأنها الخلطة التى تتوائم وتعبر عن هذا النظام العالمى الجديد وعن هذه العولمة.

وكما قلت فإن العولمة مبنية على فكرة السوق والجنس أو الإنسان الاقتصادى والإنسان الجسمانى حتى نتحلى بالمصطلح الموضوعى وأنا من دعاة هذا وأعنى بذلك أنه يجب عندما نتحدث عن الاخر أن نتحدث عنه بلغة إنسانية عامة وليست إسلامية لأننا لو تحدثنا عنه بلغة إسلامية سخر منا واستراح كثيراً لأنه فى هذه الحال يهمشنا فأنا لو تحدثت معه بلغته أظهرت قصوره ومحدوديته الشديدة من خلال لغته فاعتقد أن ذلك هو الأكثر قوة والأكثر تأثيراً.

وقد كان من المفروض أن أكون اليوم ضيفًا على الأستاذ فهمى هويدى فى صفحته بالأهرام ولكن قامت الديمقراطية المصرية بمصادرة المقال .

ولقد حاولت فى هذا المقال أن أتعامل مع السلام من منظور السلام.. قلت: إذا كان السلام أمراً مطلوبًا فعلينا بالسلام ولكن السلام له شروط وأهم هذه الشروط هو قانون العودة الإسرائيلي. فإذا كان دعاة السلام الإسرائيلى صادقين فى دعوتهم فعليهم أن يعلنوا مجرد النية فى إلغاء قانون العودة والرغبة فى إلغاء الصندوق القومى اليهودى وفى هذه الحالة من الممكن أن نتعامل مع ما يقولون.

ومشروع الشرق الأوسطية هو مشروع للعولمة فى جوهره يستند إلى فكرة أن الإنسان العربى إنسان اقتصادى والإنسان الإسرائيلى إنسان اقتصادى وبالتالى فإن الخلافات فيما بينهم خلافات اقتصادية ويمكن حلها اقتصاديًا من خلال المفاوضات وهكذا.

وما يجب ذكره أن ما يحدث ليس التبادل ولكن السلع الغربية هى التى تنهمر ولا نعرف حتى الآن أن السلع المصرية بدأت تغزوا فرنسا ولكن كل ما نسمع عنه أن قيم العولمة هذه تغزونا الآن بشكل مخز.

فبيريز ومجموعة حزب العمل كانوا يمثلون فكرة السوق الشرق أوسطية وقد جاء بيريز هنا واجتمع مع بعض المثقفين المصريين وقال لهم: إن الشعب اليهودى يريد فقط أن يشترى ويبيع ويستهلك وينتج فعظمة إسرائيل تكمن فى عظمة أسواقها وأنا أعتقد أنه فى هذه العبارة قد لخص تمامًا فكر العولمة.. أن السوق هو المعيار الأساسي.. هو المكان الذى نتبادل فيه السلع والأفكار وهكذا.

وقد صدق ذلك كثيرون وبدأت المؤتمرات الاقتصادية تعقد إلى أن جاء نتنياهو الذى خلعت عليه لقب باعث القومية العربية. لأننا بدون نتنياهو فقد كنا سندخل النفق المظلم الذى نصبه بيريز وكانت المسألة قد استغرقت بضعة سنوات من التاريخ العربى إلى أن نكتشف أن بيريز فى الواقع هو بطل قانا وأنه فى النهاية يريد أن يغدر بنا لكن البلاهة العربية المتميزة المعروفة لدينا كانت مع هذا ستستسلم لبيريز وذلك لأن الكفاح مرير والجهاد يتطلب البذل والتضحية والإنسان بطبيعته ـ كما أقول ـ يحمل بداخله مجاهد ولكنه أيضًا يحمل بداخله بقال. والنظام العالمى الجديد

يتوجه إلى البقال وهذا البقال قوى جداً ولذلك فشعوبنا العربية توجهت نحو بيريز والسلام والبلوبيف وهذه الأشياء كلها لأن البقال فى داخلها استيقظ ولا يستيقظ المجاهد إلا إذا اكتشف أن هذا البقال لايريد به خيراً وهذا ما فعله نتنياهو فقد أثبت لنا أن البقال لن يؤدى إلى أى شيء وها هى القدس قد تم توسيعها لتضم ثلاثين ألفًا من اليهود والولايات المتحدة هددت بحق الفيتو لحماية هذا أيضًا.

فكما ترون فإن العولمة تستند إلى مجموعة من القيم وهى فى الواقع قيم مادية تنفى الخصوصية الإنسانية.. تنفى الإنسانية، كإنسانية وتحاول فى ذات الوقت أن تطرح رؤى تدور حول السوق.. تدور حول الكباريه.. تدور حول السوبر ماركت.. تدور حول السياحة.

وهكذا.. أى أنها تدور حول القيم التى جوهرها الإنسان الاقتصادى والإنسان الجسماني.

وأرجو ألا يفهم من هذا أننى ضد العولمة الحقيقية التى ننشدها ولكن إذا كانت تلك العولمة التى يدعون إليها تصل إلينا ولو كنا فى بروج مشيدة - على حد قول الدكتور صلاح عبدالمتعال فى تقديمه للجلسة - فإننا على الأقل يجب أن نعرف أنها شبيهة بالموت. فدعاة العولمة هؤلاء الذين شبهوا العولمة بهذه الصورة المجازية الرائعة يجب أن يدركوا أنهم شبهوا العولمة بالموت وإنها إذا كانت فعلا حتمية فإننا يجب أن نعرف أنها طريق جهنم وليست طريق الجنة.. وقد نضطر للذهاب إلى جهنم فهذه قد تكون نهاية الكون التى يمضى إليها الغرب ولكن فى هذه الحالة يجب ألا نذهب إلى جهنم ونحن نعتقد أنها الجنة فهذا ليس سوى خداع للنفس.. ولكنى أعتقد

أيضًا أنها ليست حتمية لأن المجاهد داخـل الإنسان سينتصر بمشيئة الله وأن القيم الإسـلامية من الممكن أن تحـشد هذه الأمة لكى تقـف ضد هذا الاتجاه المميت الذى يذيب الخصوصيات القومية والخصوصيات الدينية أيضًا. أى أنه اتجاه يعادى أى نوع من القيم سواء كانت قيم قومية إثنية أو قيـم إنسانية دينية.

أقول قولى هذا واستغفر الله لى ولكم.

العولمة: وجهة نظر إسلامية

الدكتور أحمد عبدالرحمن

طرحت نظرية «العولمة أو الكوكبية» «g Lobalism» على نطاق واسع هذا العام، وتعددت حولها الأراء والمفاهيم، وكان من الواضح من الاسم نفسه أنها تبنى على نوع من الاتحاد أو التماثل أو حتى التطابق بين البشر الذين يعيشون على ظهر هذا الكوكب، والسياسات التى تبنى عليها تبتغى أن تكون عالمية، تتخطى التنوعات والتباينات والخصائص الفارقة للأمم والثقافات.

ولأن حياة البشر على ظهر الأرض متعددة الجوانب كان من المحتم أن يجرى البحث فى العولمة: الفكرية والثقافية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية والقانونية.

وإزاء الطرح الكثيف المتشعب لهذه النظرية كان لابد من تناولها من وجهة نظر إسلامية، كأية ظاهرة جديدة تحدث فى حياة المسلمين.

وأنا أزعم أن فى الإسلام عقائد وتعاليم تشكل مذهبا إسلاميا فى «العولمة»، يمكن أن نقارنه بالنظريات الأخري، ونقومها فى ضوئه.

فالقرآن الكريم رسالة للبشر كافة، أو هو رسالة عالمية لكل الأجناس والأمم التى تعيش على كوكب الأرض، وفى هذا يقول الحق تبارك وتعالى للنبى ﷺ: ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾ [الأنبياء: آية ١٠٧]. ويقول ـ جل جلاله ـ عن القرآن الكريم: ﴿تبارك الذى نزل الفرقان علىٰ عبده ليكون للعالمين نذيرا﴾[الفرقان: آية ١]. ويقول: ﴿... إن هو إلا ذكرىٰ للعالمين﴾[الأنعام:

آية٩٠]. وقد حاول المسلمون إبلاغ الرسالة الإسلامية إلى البشر فى كل أرجاء العالم، فاعتنق الإسلام أقوام من الفرس والهنود والصينيين والأتراك والأفارقة والأوربيين والأمريكيين.

* وعالمية الرسالة الإسلامية تستند إلى حقيقة بيولوجية أساسية يقررها القرآن الكريم، ألا وهى أن كل الشعوب والقبائل البشرية ينتمون إلى أب واحد وأم واحدة؛ فيقول سبحانه وتعالي: ﴿يا أيُّها النَّاسُ إنَّا خلقْنَاكُم مِّن ذَكرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إنَّ أكْرَمكُمْ عند اللَّه أتْقاكُمْ﴾[الحجرات: آية١٣]. ويقول: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِى خلَقكُم مِّن نَّفْسٍ واحدة وخلَق منْها زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا ونساءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذى تساءلُون به والأرْحام إنَّ اللَّه كان عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾[النساء: آية١]. فبين شعوب الأرض كلها صلات رحم، لأنهم ينتسبون إلى «نفس واحدة» ـ إلى آدم عليه السلام وزوجته التى خلقها الله تعالى «منه» ـ أى من آدم.

* والرسالة الإلهية واحدة أيضًا، وهي: الإيمان بالله تعالي، الواحد الأحد، الذى لا شريك له ولا مثيل له، وتعبيد الخلق له وحده دون غيره. والأنبياء والرسل، من ـ آدم عليه السلام ـ إلى محمد ـ ﷺ ـ دعوا البشرية فى كل مكان وزمان إلى هذه الرسالة الواحدة المعينة، وإذا كان قد حدث نسخ فإنه لم يتجاوز بعض الشرائع التى جاءت بها. وفى هذا يقول الحق تبارك وتعالي: ﴿شَرَعَ لكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ به نُوحًا والَّذى أَوْحيْنَا إليك وما وصَّيْنا به إبْرَاهِيمَ وَمُوسىٰ وَعِيسىٰ أَنْ أقِيمُوا الدِّين ولا تتفرَّقُوا فيه كَبُر على الْمشْركين ما تدْعُوهم إلَيْه..﴾ [الشوري: آية١٣]. وقد جاءت هذه الرسالة السماوية، العالمية، الواحدة لكل البشر، فى كل مكان وزمان، بعقائد وشرائع وقيم أخلاقية،

تكفل لهم السعادة الحقة فى الدنيا والآخرة، وتحررهم من عبادة الطواغيت والأصنام، ليعبدوا الله الواحد الأحد.

* وهناك قيم مطلقة لا تتغير ولا تتبدل من زمان إلى زمان ولا من مكان إلى مكان، ولا من أمة إلى أمة؛ فهى قيم عالمية، كوكبية، وعلى رأس هذه القيم «العدالة» ولهذا كانت القوانين التى تتصف بالعدالة مطلقة، يتلقاها البشر بالرضا والاحترام فى كل العصور.. والعدالة هى الأساس الأخلاقى للقوانين الدولية. وقد أثبتت القيم المطلقة مذاهب فلسفية معاصرة عديدة، لعل أهمها مذهب نيكولاى هارتمن وماكس شيلر وأستاذهما إدموند هسرلم.

* والجسد البشرى واحد فى تكوينه البيولوجي، ولذلك كان الطب بشريا عاما؛ وعلوم الطب، وعلوم الأدوية، لم تخص شعبا دون غيره، بل حدث اقتباس هائل بين أمم الأرض.

* والشيء نفسه يصدق على علوم الفيزياء والكيمياء، لأن الطبيعة المادية واحدة؛ وكذلك التقنيات والصناعات المبنية على العلوم المادية عالمية عامة.

* فهذه كلها عناصر «عولمة»، لا يملك أحد إنكارها أو الاعتراض عليها؛ وهى من وجهة نظر إسلامية حقائق عقدية وأخلاقية وتشريعية وبيولوجية وطبيعية.

التنوع ضمن الوحدة:

* وتنص آية سورة الحجرات التى أوردناها على وجود التنوع ضمن الوحدة، فأصل البشر أب واحد؛ لكن الله تعالى جعل ذريته شعوبا وقبائل

متمايزة؛ ففيهم الأسود والأصفر والأحمر والأبيض، لكي يمكن لهم أن يتعارفوا، لا أن يتعالى بعضهم على بعض، وهناك صفات عرقية نوعية عديدة معروفة فضلا على لون البشرة، يعرفها أهل الاختصاص.

* والإسلام يوجب على المسلمين أن يدعوا إليه الناس من كل جنس؛ وفي ذلك ينبههم القرآن الكريم إلى أن الناس لن يكونوا أمة واحدة؛ وسيظل هناك دائما ضالون غير مسلمين، فيقول جل جلاله: ﴿ولو شاء اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِن يُضِلُّ من يشاءُ ويهدي من يشاءُ﴾[النحل: آية ٩٣]، ويقول: ﴿ولَوْلا أن يكُونَ النَّاسُ أُمَّة واحدةً لَجعلْنا لمن يكْفُرُ بالرحْمن لبُيُوتهمْ سُقُفا مّن فضَّةٍ ومَعَارجَ عَلَيْهَا يظْهَرُون﴾ [الزخرف: ٢٣]. فعلم المسلمون يقينا أن الإسلام لن يعم البشرية جمعاء، وأنه سيظل هناك كفار بالإسلام، وأن تلك هي إرادة الله جل جلاله. والتاريخ الإسلامي يكشف لنا عن هذه الحقيقة الإسلامية، إذ ساد المسلمون بلاداً شاسعة من سور الصين إلى «نانس» على مبعدة مائة كيلو متر من باريس، وشكلوا أعظم وأقوى دولة في العالم في ذلك الزمان، وعلى الرغم من ذلك ظل التنوع الديني قائما وعاشت اليهودية والمسيحية في أوساط المجتمعات الإسلامية، يمارسها أهلها بحرية تامة.

* إن هذا المفهوم للعولمة ليس جديدا. فوجود عناصر إشتراك بين البشر وتبعا لذلك، إمكان اتحادهم في بعض الأفكار والنظم والقوانين ليس بجديد. ومعلوم أن المسيحية انتقلت من الشرق إلى أوربا. وانتشر الإسلام من الحجاز إلى الهند وفارس والصين.. واقتبست الأمم بعضها عن بعض، أفكاراً وعلوما وفنونا وتقنيات.. واتفقت الأمم واختلفت وتقاتلت، وكان لابد من وجود قواعد تنظم التجارة بينها، ومعاهدات وعهود سياسية دولية،

وقد ابتعث السفراء بين الملوك والأمراء والحكام، واعتبر العدوان على السفراء جريمة كبري، وهذه كلها مظاهر «عولمة» وجدت قبل أن يوجد فلاسفة العولمة المعاصرون، وكلما ازدهرت التجارات وتكثف الاتصال، برزت الحاجة إلى قواعد عامة تنظم ذلك ويقر بها الأطراف ويرتضونها، وذلك هو أصل القوانين الدولية فى العصور الحديثة.

* ولقد كان انقسام البشرية إلى مهتدين مؤمنين بالإسلام وضالين كافرين به، ولا يزال أخطر الفروق المحددة للعولمة، وفى عصرنا هذا اتخذ هذا الانقسام شكل فلسفات مادية ملحدة رافضة للدين وشرائعه وقيمه الأخلاقية، رافضة لقبول أية فكرة جاءت فى القرآن الكريم أو جاء بها الوحي، وتلك هى «العلمانية» التى تقرر أن الإنسان ليس فى حاجة إلى السماء لكى تنظم له حياته أو تزوده بأفكاره ونظرياته. وفى مواجهة هذا الموقف يقف الإسلاميون الذين يؤمنون بأن الإسلام حياة كاملة شاملة، وليس مجرد عقائد أو عبادات. وكل فريق يحاول الانتصار على الأخر و«العولمة» الغربية تشكل كل المحاولات العلمانية فى هذه المواجهة.

* وقد اتحدت القوى العلمانية فى الداخل والخارج فى أشكال عديدة من الروابط، آخرها «نظرية العولمة» بغية تعميم الفلسفة المادية فى العالم الإسلامي؛ ولقد حاولوا تشويه الإسلام بكل الطرق والوسائل لتنفير المسلمين منه لكى يتم إفساح المجال لإحلال الفلسفات المادية، وما بنى عليها أو يشتق منها من النظم والقوانين والقيم، محل نظائرها الإسلامية، وهذا الإحلال يمثل أحد أهم مظاهر «العولمة» فى العالم الإسلامي، فالعولمة، عند هؤلاء هى استبعاد الإسلام وإقصاؤه عن الحياة، وإحلال الفكر الأوربى والأمريكى المادي، العلماني، البراجماتى (النفعي) محله، بحيث لا يكون

هناك «عالم إسلامي» و«عالم مسيحي» و«عالم علماني»، بل عالم واحد علماني مادي يستقي فكره وشرائعه وأخلاقياته من الخبرة البشرية، وهي الخبرة البشرية للعالم الأول، المتقدم، الغني، والقوي، في أمريكا وأوربا.

ومن الخطأ أن يظن أحد أن أمريكا تريد «أمركة» العالم، بمعنى أنها تريد تحويل دول العالم إلى ولايات أمريكية؛ فذلك مطلب مستحيل، والتفكير فيه ضرب من الخبل!.

كما أنها لا يمكن أن تفكر في القضاء على كل الثقافات البشرية لكيلا يبقى غير الثقافة الغربية، لأن هذا أيضا مستحيل. ومعلوم أن المجتمع الأمريكي نفسه متعدد الثقافات، لكن المهم أن تظل ثقافة الرجل الأبيض هي المسيطرة الفاعلة، وتظل الثقافات الأخرى محدودة ضمن السلوك الفردي، لا تتعداه، فالدساتير والقوانين والنظم يجب أن تكون «براجماتية»، أساسها الفلسفة المادية الحسية، ولا مجال لكتاب سماوي أو وحي إلهي في تحديد المذاهب الفلسفية أو الدساتير، أو الشرائع والقوانين والقيم الأخلاقية. وهذا هو المطلوب من خلال «عولمة» العالم الإسلامي: أن يتم إبعاد الإسلام عن مجالات الفكر والعمل، وبذلك يتحول المسلمون إلى أتباع للغرب، هو الذي يفكر لهم، وهو الذي يشرع ويقنن وينظم، وما عليهم إلا أن يتلقوا عنه كل ذلك صاغرين، وبذلك تزول كل أخطار الاستقلال الفردي والعملي الذي يكفله الإسلام للمسلمين، وتزول كل مقومات الوحدة الإسلامية والتضامن الإسلامي ـ الغول المخيف للغرب! ـ وتتبعثر الشعوب المسلمة وتتمزق وتسقط في مستنقع الضعف والهوان، ويستمر نهب ثرواتها واستغلال خيراتها، وإمكاناتها، إلى يوم الدين! وهذا هو التطبيق العملي للبراجماتية الأمريكية في السياسة الدولية. وهم يعلنون

عن ذلك دون مواربة أو خجل، فكل السياسات تعتمد لتحقيق «المصالح الأمريكية»! وفى سبيل المصالح الأمريكية تسخر كل القوى المادية العسكرية، وتستغل حقوق الإنسان والحريات والتعددية والديمقراطية.

وإذا تعارضت الديمقراطية مع المصالح الأمريكية ضرب بالديمقراطية عرض الحائط! ولذلك رضيت أمريكا بأن ينسف «يلتسن» مبنى البرلمان الروسى بالمدفعية، كما أيدت العسكر الانقلابيين فى الجزائر، وهى التى تساعد الحكام الطغاة فى كل مكان ماداموا أخلصوا لها ولمصالحها، وتحارب كل حركة ديمقراطية تهدد استغلالها وظلمها وعدوانها.

كيف تفرض «العولمة الأمريكية؟

وتتوسل أمريكا بوسائل عديدة لفرض العولمة بالمفهوم الأمريكى على العالم كله، والعالم الإسلامى خاصة. من ذلك: دعم القوى العلمانية الداخلية بالمال والحماية، وحماية الأفراد المرتدين عن الإسلام وتكريمهم، كما حدث مع سلمان رشدى ونسرين تسليمة، وقد انتشرت الجمعيات الأهلية (التى تضع لنفسها أهدافا غير إسلامية) انتشارا وبائيا، وتدفقت عليها الدولارات بسخاء لانظير له! ومن ذلك الدعم الاقتصادى للنظم العلمانية الحاكمة، المعادية للإسلام، والحرمان والتجويع والحصار لأى نظام يتمرد على الإرادة الأمريكية، أو يتخذ الإسلام منهاج حياة كاملة، ومن ذلك جهود المستشرقين والكتاب والإعلاميين والفنانيين عبر كل الوسائل والمناهج التربوية فى جميع مراحل التعليم. (راجع مثلا كتاب برجنسكى outol controli p.210) وآخر ذلك شبكة الاتصالات الدولية «الإنترنت». ومن ذلك تقييد الحكومات المسلمة، أو التى تحكم المسلمين باتفاقيات

مجحفة ظالمة، كاتفاقية الجات واتفاقية منع الانتشار النووي، ومن ذلك المحاولات واسعة النطاق لجلنزة» البلاد المسلمة - أى نشر اللغة الإنجليزية، وإقصاء اللغة العربية ودفنها حية! هذا بالإضافة إلى إحلال الأزياء الأمريكية محل الأزياء العربية والمصرية ونماذج وأساليب وتقاليد الطعام، بإنشاء سلسلة من المطاعم الأمريكية، وإقامة شركات لإنتاج المواد الغذائية الأمريكية على الطرز الأمريكية، وبأسماء إنجليزية.

وقد نجحوا فى ذلك نجاحا باهرا، فإذا دخلت أى دكان للبقالة فى أية عزبة مصرية وقرأت أسماء السلع المرصوصة على الأرفف فلن تجد أسماء عربية ربما باستثناء «المعسل» الذى يدمنه الفلاحون! ولا يجرؤ وزير كبير أو صغير على المطالبة باستعمال الأسماء العربية، لأن ذلك سيحسب عليه، ويعد مغامرة بمستقبله السياسي، وربما جلب عليه الاتهام بالأصولية والرجعية، وإحياء ثقافة العصور الوسطي، ولذلك يمر الواحد منهم يوميا على المحال والشركات التى تحمل لافتات بالإنجليزية، دون العربية، مخالفة للقانون، ويغمض عينيه ويصمت! والطفل المصرى يفتح عينيه على كتابات بالإنجليزية، على ملابس إخوته وأخواته، على صدورهم وظهورهم، وعلى ملابسه هو نفسه، وعلى اللعب والهدايا، وكل شيء، حتى يستقر فى ضميره أن هذه هى لغته، وأن العربية هى اللغة الثانية، أو اللغة الميتة، التى لا تعرف الطريق إلى الحياة.

وقبل أن يعرف شيئا ذا قيمة عن لغته، تدخل اللغة الإنجليزية مدرسته منذ الصف الرابع الابتدائى لتصبح مشكلته الأزلية!

العولمة عن طريق الأمم المتحدة

ولقد كانت نشاطات العولمة تأتينا صريحة على أيدى الفرنسيين أو الإنجليز أو الروس، أو الأمريكان، ولكنها الآن تأتى من مصدر آخر، هو مواثيق الأمم المتحدة. وهذه المواثيق من صنع الغرب. وأساسها نظرة علمانية مادية للوجود (الانتولوجيا).

ولقد أضحى «الإيدز» سمة من سمات عصر العولمة الذى يتحدثون عنه وإذا كانت المجتمعات الغربية قد نجحت فى خفض معدلات انتشاره، فإن المجتمعات المختلفة فى آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية فشلت فى ذلك باستثناء الدول المسلمة التى تحرم الزنا واللواط، فإذا نحن سرنا فى قبول العولمة إلى مرحلة إباحة الزنا واللواط فعلينا أن نتقبل النتائج اللازمة عن ذلك ـ ولا أذكر «الإيدز» فقط، بل ملايين المواليد من سفاح، وهم الذين يشكلون جيوش المجرمين فى الغرب، فى شكل عصابات المافيا وغيرها. ويمارسون الجريمة المنظمة وغير المنظمة، ولابد أن نتوقع انهيار الأسرة وظهور الأسرة «المثلية» التى تجسد الشذوذ الجنسي، بالإضافة إلى حزمة كبيرة من الأمراض والأوبئة العقلية والنفسية والاجتماعية، لا يتسع المجال هنا لتفصيل القول فيها.

* صفوة القول إذن: إن «العولمة» بمعنى وجود أرضية مشتركة بين شعوب الأرض تسمح بقيام علاقات بينها، وتسمح بوجود قوانين كوكبية تنظمها لخير الجميع، تعتبر نظرية مقبولة من وجهة النظر الإسلامية، أما «العولمة» التى تعنى فرض الفلسفة البراجماتية، النفعية، المادية، العلمانية، وما يتصل بها من قيم وقوانين ومبادىء، على سكان الكوكب، فهى نظرية

مرفوضة رفضا باتا فى ضوء الإسلام. وهذا أمر بديهي، إذ كيف يقبل الإسلام نظرية تريد نسخه وإقصاءه عن حياة أمته لكى تحل محله؟!.

* والمشكلة التى تواجه الأمة المسلمة ليست تلك النظرية، بل أنصارها من أبناء المسلمين وبخاصة أولئك الذين يحكمون المسلمين ويتحكمون فى التربية والتعليم والإعلام، ويسخرون كل القوى المؤثرة فى توجيه الشعوب لإقناعهم «بالعولمة» المرفوضة إسلاميا، وفضلا عن ذلك يكتمون الصوت الإسلامى الحر الذى يقاوم «العولمة» الأمريكية، ويحرمونهم من استعمال الإذاعة والتلفاز، وإصدار الصحف والمجلات وتكوين الأحزاب، وفى هذا المناخ الاستبدادى تتقدم «العولمة» الأمريكية يوما بعد يوم، وتنحسر الصبغة الإسلامية عن المجتمع المسلم بالقدر نفسه.

الإسلام والعولمة

ورقة محمد إبراهيم مبروك

أول إشكاليات العولمة تبدأ من تعريفها ذاته لأن الذين يستهدفون الترويج لها يصنعون لها التعاريف التي تقرن بينها وبين العالمية حتى تبدو وكأنها شيئًا مفروضًا لا مجال للخيار فيه.

بينما يذهب الرافضون إلى أنها تعبير دعائي لما انتهت إليه الليبرالية الاقتصادية المتأخرة وكما يقول الأستاذ السيد ياسين[1]: «إن صياغة تعريف دقيق للعولمة تبدو مسألة شاقة نظرًا لتعدد تعريفاتها والتي تتأثر أساسًا بانحيازات الباحثين الأيديولوجية واتجاهاتهم إزاء العولمة رفضًا أوقبولاً».

وأود أن أوضح للقارىء منطلقاتي بأن أحدد له بداية مفهومي عن العولمة: فالعولمة كما أفهمها هي تعاظم شيوع نمط الحياة الإستهلاكي الغربي وتعاظم آليات فرضه سياسيًا واقتصاديًا وإعلاميًا وعسكريًا بعد التداعيات العالمية التي نجمت عن انهيار الاتحاد السوفيتي وسقوط المعسكر الشرقي.

وعلى ذلك فإن العولمة تكتسب عالميتها من مدى اتساع قدرتها على فرض هذا النمط على شعوب الدنيا وليس على أساس كونها واقعًا فعليًا يحيط بالشعوب والبلدان. وعلى الرغم من الأهمية البالغة لتحليل الاقتصاديين للمسألة إلا أن أخطر ما في الموضوع هو أن طرح القضية على أساس كونها مجرد صراع حول المصالح الاقتصادية يمثل تغيبًا لوعي الشعوب الإسلامية على وجه الخصوص لأنه ينطوي على مصادرة مبدئية فحواها أن المسألة لا تعدو كونها خلافًا في التشكيل النسبي لتلك المصالح

المتنازع عليها داخل إطار المنظور المادى للوجود. فالبحث يتم فى مدى استفادة أو مضار الدول والأمم من العولمة وخسائر ومكاسب الطبقات المختلفة فى ظلها. فإذا وجدت أمة كالأمة اليابانية أو الصينية فى نفسها العافية على دخول الصراع رحبت بالعولمة. وإذا وجدت الطبقات العاملة الأمريكية فى العولمة خطرًا متمثلاً فى الاستعاضة عنها بالعمالة الأرخص أجرًا فى الدول النامية رفضت هذه العولمة.

لكن المنظور الإسلامى عندما يحدد موقفه من العولمة فلابد أن ينتقل إلى طاولة بحث أخرى غير تلك الطاولة التى يدور البحث عليها حول التفاوض على مكاسب أو خسائر تعميم النموذج الاستهلاكى الغربى لأن المنظور الإسلامى أكثر اتساعاً وشمولا من الإطار المادى الضيق الذى تسعى العولمة فى نطاقه كما أن الغايات الإسلامية تتجاوز تلك الغايات المادية الإستهلاكية إلى غايات أرحب تواصل الدنيا بالآخرة وتستوعب الأبعاد المختلفة للإنسان المادية والروحية معًا. وحتى فى الجانب المادى فإنه على العكس من المنظور الغربى الذى يتم تحديد الأولويات الاقتصادية فيه تبعًا لما يقتضيه تحقيق النموذج الإستهلاكى البراجماتي. فإن أولويات المصالح الاقتصادية فى الإسلام تتحدد تبعًا للغايات العقائدية المستهدفة من السعى الإنسانى فى التصور الإسلامي.

ومع ذلك فلابد أن نشير أولاً إلى أنه من الناحية الاقتصادية البحتة فإن الحلم التبشيرى الإغوائى لدعاة العولمة بتعميم نموذج الإنسان الاستهلاكى الغربى ليس سوى فانتازيا خادعة لأن موارد العالم آجمع لاتكفى لتحقيق ذلك النموذج.

والمسألة ليست فقط تحقيق مصالح الدول الغنية على حساب الدول الفقيرة حتى ولو أدى ذلك إلى افنائها ولكن تحقيق مصالح النخب الرأسمالية فى تلك الدول والنخب الحليفة لها فى الدول الأخرى على حساب كل شعوب العالم. فالعالم يتم تقسيمه إلى مراكز وهوامش وكلما ازداد ثراء المراكز ازداد فقر الهوامش. فإذا كان الميكانيزم الأساسى للعولمة هو تعاظم أسعار المواد الأولية وكانت الأخيرة هى المقوم الأساسى لثروة الدول الفقيرة فإن تنامى العولمة يعنى سحق الدول الفقيرة لحساب الدول الغنية.

ومن ناحية أخرى فإن الإلتزام بقانون السوق الذى يحكمه الأقوى واستهداف الجانب الربحى دون آية اعتبارات آخرى وعمل آليات العولمة فى تقليص سلطات الدولة لحساب أقوياء السوق وتخفيض التأمينات الاجتماعية أو إهدارها. كل ذلك يعنى تركيز الثروة فى يد النخب المسيطرة على حساب الشعوب حتى داخل الدول الغنية ذاتها.

فهل يجب - كما يقول الرئيس الفرنسى الراحل فرانسوا ميتران - أن نسمح بتحول العالم إلى تلك السوق الشاملة الواحدة التى يمكن أن يعمل فيها فقط قانون الأقوى بهدف وحيد هو: كيف يمكن الحصول على أكبر ربح فى أقصر وقت؟ ذلك العالم الذى تستطيع فيه المضاربة خلال ساعات أن تدمر عمل ملايين النساء والرجال؟ ![٢]. إذن فالحلم الزائف للعولمة يغوى ابناء الأرض بمقايضة مقوماتهم الروحية بالمقومات المادية بينما ما يحدث فى الواقع بالفعل آن الجماهير الغفيرة من شعوب العالم تقايض مقوماتها المادية والروحية معًا فى مقابل الوهم.

لكن الرؤية الإسلامية لا تقف عند حدود هذا الموقف الاقتصادى من العولمة لأنه حسب تلك الرؤية فإن المسألة تنطوى على صراع أيديولوجى كامن وراء الصراع الاقتصادي، والزعم بأن سقوط الماركسية يمثل شاهداً واقعياً على انتصار الليبرالية وسقوط عصر الايديولوجيات ونهاية التاريخ ببلوغه غايته الحضارية فى الليبرالية الغربية كما يقول فوكوياما هو زعم يجافى الحقيقة لأن سقوط الماركسية يعود لتناقضاتها الذاتية ولا يمثل بالضرورة شاهداً على انتصار الليبرالية التى تواجه أزمات شديدة فيما يحدث بفعل العولمة الآن من استقطاب حاد لشعوب دولها الغنية (دول المركز) بين نخب شديدة الثراء وجماهير غير قادرة على الاحتفاظ على الحد الأدنى من الأمان المعيشى الذى كانت تحتفظ به الشرائح العريضة من الطبقة الوسطى فى ظل دولة الرفاه. ولأن الغرب لايفكر إلا فى نطاق ذاته كان هذا الزعم بأن سقوط الماركسية يعنى سقوط عصر الأيديولوجيات فالأيديولوجية الماركسية وليدة الحضارة الغربية فى النهاية ومن ثم فإن سقوطها قد يعنى سقوط أيديولوجيات تلك الحضارة ولايعنى سقوط الأيديولوجيات الأخرى الخارجة عن نطاقها.

وإذا أردنا أن نفهم الفكر الذى يقود الحضار ة الغربية الآن فلابد أن نعود إلى مرحلة المخاض التى نتج عنها أى إلى الربع الأخير من القرن التاسع عشر فالحضارة الغربية منذ عصر النهضة تتشكل فى إطار الفكر العلمانى الذى ينطلق من الأسس المعرفية الأغريقية التى تقتصر على العقل وخبراته فى إدارك الحقائق وتصريف شئون الحياة وفى هذا الربع الأخير من القرن التاسع عشر بلغ الصراع مداه بين الفلسفات المادية والمثالية «والتى تشترك فى أسسها العلمانية» دون الوصول إلى أى يقين معرفى مما سبب حالة من

القلق الإنسانى وبعد أن حاول الماديون طرد الدين من العالم بينما أراد المثاليون أن يحددوا له مكان إقامته جاء نيتشة وأعلن عن موت الإله بل وطالب بالقضاء على ظلال الإله الكامنة فى المشروعات الفكرية المادية والمتمثلة فى المنظومات العقلانية والأخلاقية لتلك المشروعات المادية وكذلك فى الوعود الإنسانية التى تبشر بها تلك المشروعات وجاءت المشروعات الحداثية كانعتاق ضد الرؤى الدينية والمشروعات التأملية الهيجلية حتى توج القرن التاسع عشر بأفكار وليم جُيمس البراجماتية التى أسقطت الحقيقة وعملت على اختزالها فى مفهوم المصلحة أما شلر الذى يتنمى إلى نفس المدرسة البراجماتية فكان أكثر صراحة حيث أعلن استناد فكره إلى مقولة بروتاجوراس السفسطائى: «الإنسان مقياس كل شىء»

وبتحليل بنية الفكر القائد للحضارة الغربية الذى يقود العولمة الآن نجد أنه بانتقال مركز الثقل الغربى إلى أمريكا بعد الحرب العلامية الثانية فإن قيادة الفكر الغربى بوجه عام انتقلت بدورها إلى الفكر البراجماتى الأمريكى الذى ينطلق من القناعة المسبقة بعجز الفكر الفلسفى الغربى (المادى والمثالى معًا) عن إدراك الحقيقة المعرفية ومن ثم من اللاجدوى عن مواصلة البحث فى الأسس المعرفية الإبستمولوجية أو العمل على الوصول إلى اجابات فلسفية عن الأسئلة المصيرية الكبرى والإعتياض عن ذلك بالإلهاء الحسى النفعى المتواصل، وعلى ذلك فالبراجماتية لا تعتقد بصحة الأفكار إلا بمدى ما تحققه من منفعة عملية والحقيقة لديها هو كل ما يأتى عن تجريبه أو تطبيقه تلك المنفعة فليس مهمًا مثلا أن يكون الله موجوداً أو غير موجود وإنما المهم على حد قول وليم جيمس الأمريكى (أهم منظرى البراجماتية): «أن نتمتع بإلها إذا كان لدينا إله»(٣).

وعندما تكون المنفعة العملية هى المعيارالوحيد للحكم على الأشياء فإن ذلك يؤول فى التطبيق العملى إلى إحلال المصالح الخاصة محل المبادىء والقيم التى تحكم الأمور فالبراجماتية هى عملية انتقال بارعة من المذهبية الفلسفية الملتزمة إلى التبرير الفلسفى لكل ما هو قائم بالفعل على أنه هو ما تفرضه الإحتياجات الإنسانية وهى فى الوقت نفسه تعبير دقيق للغاية عما بلغه النسق الفكرى العلمانى للحضارة الغربية فى أقصى نموها المادى. ومن هنا كان التركيز على اللذة والإستهلاك المادى فالإلهاء الحسى المتواصل صار بديلاً عن البحث الفلسفى الحقيقى. كما أن البراجماتية باعتمادها النفعية كمقياس للحقائق لاتؤدى إلى تبريز الإنتهازية فقط وإنما إلى صبغها بصبغة الحقائق الجديرة بالإحترام والتقدير.

وفى أوائل القرن العشرين كتب وليم جيمس فى رسالة إلى أحد أصدقائه أن البراجمانية ستدمغ فكر العالم كله بطريقتها فى خلال عشرة سنوات. وإن كانت تنبؤات وليم جيمس قد تأخرت بعض الوقت إلا أن الواقع الذى تحقق أثبت أنها كانت صحيحة بالفعل فبانتقال مركز الثقل الغربى إلى أمريكا بعد الحرب العالمية الثانية قادت الفلسفة البراجماتية الفكر الغربى بوجه عام ثم كانت هى المسئولة عن التدهور السريع فى سقوط المعسكر الشرقى أيضاً .

والذى يؤكد اكتساح البراجماتية للمعكسر الشرقى أيضا أن أغلب الرؤساء الذين جاءوا إلى تلك البلاد بعد سقوط الشيوعية عندما سألوا عن الفلسفة التى يؤمنون بها. أجابوا: إنها الفلسفة البراجماتية.

والتطبيق السياسى لتلك الفلسفة الأمريكية يعنى اختزال طاقات شعوب

العالم من خلال العولمة إلى طاقة دفع لماكينة الحياة البراجماتية الإستهلاكية للنخب الرأسمالية والسياسية المسيطرة. فهى تبتعث من خلال آليات الغرب الأمريكى الإعلامية المسيطرة على العالم أشد الرغبات الإستهلاكية سعاراً فى نفوس الناس فى نفس الوقت الذى يتم فيه إغراؤهم بتحطيم كل المبادىء والقيم فى سبيل تحقيق تلك الرغبات. ولأن موارد العالم أجمع ـ كما قلت ـ لا تكفى لتعميم تحقيق تلك الرغبات فإنه لا يستطيع تحقيقها إلا أكثر المتصارعين براجماتية بينما يؤول لهاث الجماهير الغفيرة إلى طاقة دفع لماكينة تلك الحياة البراجماتية التى تقودها النخب السياسية والاقتصادية المسيطرة على العالم.

لكن مشكلة التى يقع فيها الغرب الأمريكى نفسه الأن أن البراجماتية التى استطاعت بتأكيدها على عجز الفكر الفلسفى الغربى عن إدراك الحقيقة المعرفية تحطيم كل الفلسفات والأيديولوجيات الغربية قد تولد عن تداعيات عجزها الفلسفى نفسه وما تنطوى عليه من مضمون عبثى وتداعيات نتائج تطبيقاتها الظالمة على شعوب المجتمعات المعاصرة تلك الأفكار المابعد حداثية التى تؤكد على هذه التداعيات دون تقديم مشروع بديل لها.

وتفسير ذلك أن البراجماتية تصنع إطاراً إلهائيا لمضمون عبثى فهى تقول لك أبحث عن المصلحة والمتعة واللذة بدلاً من أن ترهق نفسك فى البحث عن الإجابة على الأسئلة المصيرية فى الحياة مثل: من أين جئنا؟. وإلى أين نذهب؟ وهل الله موجود أم غير موجود؟ وما هى العدالة؟ وما هى القواعد التى يجب أن تحكم علاقتنا بالآخرين؟.

فالبراجماتية تصنع من خلال الحث المستمر على المصلحة والمتعة واللذة تصنع إلهاءً متواصلاً عن التفكير فى كل ذلك. ولكن العقول المفكرة فى الغرب لابد أن تنتبه إلى ذاتها وتكتشف بعد مرحلة من الإلهاء أن البراجمانية لم تجب على شيء من تلك الأسئلة المصيرية ومن هنا جاءت ما بعد الحداثة. لأننا إذا قمنا بطرح حالة الإلهاء الحسى من البراجماتية فلن يبقى منها غير العبث.. وتقوم نزعة ما بعد الحداثة على رفض كل فلسفة تقوم على النسق الكلى أو على مفهوم التاريخ أو على مفهوم التطور فضلاً عن الأساس الموضوعى للمعرفة. وكذلك رفض أى معنى لكلمات مثل: يقين أو دوافع أو حق أو ذات. وإذا كانت الحداثة تمثلت كانعتاق من الرؤى الدينية والمشروعات التأملية الهيجيلية فإن الموقف المابعد حداثى الذى ينطلق من تداعيات اللامعرفية الفلسفية لاينزع المشروعية فقط عن الرؤى الدينية والأيديولوجيات الفكرية التأملية ولكنه ينزعها عن المشروعات الانعتاقية المضادة لها أيضًا. فما بعد الحداثة تحمل من الحداثة الذات المنقسمة المفتتة ولكنها تحمل كل مسافة نقدية منها أيضًا فهى «ضد الضد» وذلك لأن الشيء الأساسى الذى تحمله هو قناعتها بعدم إمكانية المعرفة. وإذا كان الحقيقى هو «العقلانى (المادى) فى عصر التحديث وهو المادى المتغير فى عصر الحداثة ففى عصر ما بعد الحداثة لا يوجد أى أساس للتمييز بين الحقيقى والزائف وبالتالى فلا حقيقى ولازائف»(٤).

وتشهد ثقافة ما بعد الحداثة على أن الرأسمالية المتأخرة (التى يتم تعميمها من خلال العولمة) أدت إلى جعل الذات المعاصرة شبكة مبعثرة مزاحة من المركز - من التعلقات اللبيدية المفرغة من الجوهر الخلاق ومن

الجوانية النفسية فهى وظيفة عابرة من هذا الفعل أو ذاك من الاستهلاك أو خبرة وسائل الإعلام أو العلاقة الجنسية أو الموضة»(٥).

وهكذا فإن الأفكار الما بعد حداثية لا تعمل فقط على تأكيد المضمون العبثى للبراجماتية ولكن أيضًا على تجريدها من إطارها النفعى الإلهائى الزائف وهى مع ذلك لم تقدم أى بديل فكرى فهى عملت على تفكيك كل التصورات والافكار وعلى تفكيك الإنسان ذاته فى النهاية.

الخلاصة من كل ما سبق أن الفكر الكامن وراء العولمة هو الفكر البراجماتى النفعى الإلهائى ولكن يزاحمه الآن ويقف خلفه فى وعى العقول الغربية المفكرة الفكر الما بعد حداثى الذى يتضمن من بين ما يتضمن البعد التفكيكى التدميري.

وعلى الرغم من أن مشارف القرن الجديد تنبىء بتفوق قوى أخرى اقتصاديا وتكنولوجيًا مثل اليابان وألمانيا على الولايات المتحدة الأمريكية وهو ما يرصده محللون عالميون مثل لسترنارو الأمريكي(٦) وهانس بيترمارتين وهارالد شومان الألمانيان(٧) وشينتارو إيشهارا الياباني(٨) إلا أن هذه القوى لاتخرج فى الأساس عن المنظومة الفكرية الحضارية الأمريكية ولا تمثل أيديولوجيًا تناقضا جوهريًا معها بل أن هاتين الدولتين قد تراجعت منذ عصر العولمة عن الكثير من أهدافها الاجتماعية وكما يقول الألمانيان هانس بيترومارتين وهارالد شومان: «فإن الدول التى لاتزال ثرية حتى الآن قد راحت نفسها تقوم فى ظل العالم الجديد ـ الذى لم يعد فيه للبعد الجغرافى أهمية تذكر فى تحديد العلاقات المتينة القائمة بين المدن ـ بهدم ماسادها حتى الآن من نظام للتكافل الاجتماعى بسرعة تدعو للدهشة

والعجب «وفى نفس الوقت تلم الثقافة الواحدة العالمية شمل النخبة دون أهمية تذكر للإنتهاء القومي»[٩].

لذلك فعلى الرغم من تصاعد قوى عالمية كاليابان والصين خارج النطاق الإقليمى الغربى فإن تلك القوى لاتملك المنظومة الفكرية التى تستطيع مواجهة ما يشكله ذلك الفكر من إغراء للنخب والشعوب على السواء خصوصا بعد استلابها الحضارى للغرب على امتداد عشرات السنين. فلا تملك الكونغوشوسية من خلال منهجها الإصلاحى الطوباوى الموجه إلى الفرد ولا البوذية القائمة على القمع الدائم للذات تقديم المنظومة الأيديولوجية الجماعية القادرة على المواجهة بخلاف الإسلام الذى يمثل منظومة أيديولوجية مترابطة لا تقبل التجزؤ تكشف عن الحقيقة وتدعو إلى المساواة والعدل وتحقيق الأمان المعيشى والإنحياز للفقراء والمستضعفين فى الأرض. وتربط بين ذلك وبين الإيمان بالله ذاته رباطًا عضويًا لا ينفصم. وكما يقول روبرت كابلان[١٠] الخبير الأمريكى بشئون العالم الثالث: «فى هذا الجزء من العالم سيكون الإسلام بسبب تأييده المطلق للمقهورين والمظلومين أكثر جاذبية فهذا الدين المطرد الانتشار على المستوى العالمى هو الديانة الوحيدة المستعدة للمنازلة والكفاح». فالتصور الإسلامى هو الذى يتناقض تمامًا فى منطلقاته مع كل الأسس والغايات التى تنطلق منها الأفكار البراجماتية والمابعد حداثية الموجهة للعولمة الأمريكية. وهو التصور الذى يمتلك الإجابة على الأسئلة المصيرية الباعثة على القلق الإنسانى ولايحتاج إلى هذا الإلهاء الحسى الذى تقدمه البراجماتية فى النموذج الاستهلاكى الغربى الذى تبشر به العولمة.

كما أن الإسلام بمنظومته الرسالية لا يستطيع مكتوف الأيدى آمام ما

تمارسه العولمة الأمريكية من سحق للشعوب وتحطيم للكينونة الروحية للإنسان وبعد سقوط الأيديولوجيات الغربية يظل الإسلام الأيديولوجية الوحيدة القادرة على استنهاض شعوب العالم الفقيرة والمستضعفة وإنقاذها من مظالم العولمة بل وإنقاذ الطبقات الفقيرة والمستضعفة فى بلاد الغرب الأمريكى ذاتها.

ولكننا يجب أن نعترف أن بلوغ الإسلام تلك الأهداف يتطلب شروطاً محددة تتمثل فى وجود القادة القادرين على اتخاذ القرارات الشجاعة المستقلة فى ظل ضغوط العولمة البالغة القسوة. والشعوب القادرة على التضحية والصمود والعطاء فى المراحل الأولى من المواجهة التى ستجنى ثمارها بعد ذلك ويتطلب قبل كل ذلك إجتهاداً فكريًا نشيطًا ومبدعًا يقصر عنه الفكر الإسلامى الآن. وليس أمامنا الآن إلا أن نبلغ تلك القدرات أو نرتضى بفرضيات العولمة لنعش فى جحيم القهر والعبودية إلى الأبد.

---

(١) الزمان العربى والمستقبل العالمي. ص٥٣.

(٢) نقلا عن البرونسيورف ـ برلونف: نهاية التاريخ أو البحث عن تاريخ جديد الثقافة العالمية العدد ٨٥ ـ نوفمبر ـ ديسمبر ١٩٩٧ ص١٧.

(٣) البراجماتية

(٤) دكتور عبدالوهاب المسيري العلمانية الشاملة.

(٥) تيرى إيجلتون (الرأسمالية والحداثة وما بعد الحداثة) ضمن مقالات كتاب ما بعد الحداثة: ت أحمد حسان ص ٢٣

(٦) صراع القمة.

(٧) فخ العولمة ٦٥

(٨) اليابان يمكنها أن تقول. لا

(٩) فخ العولمة ص٦٤

(١٠) نقلا عن هانس بيترمارتين وهارالدشومان فخ العولمة. ص

تعقيب الدكتور: محمد عبدالمنعم البري

لقد تعرت الحقيقية المستورة وتكشفت جوانبها الخفية وهذا الحديث الراهن عن العولمة ذكرنى بما قرأناه قديماً عن المخططات الصهيونية ذات الأصل اليهودي. وهم يدعون إلى جعل العالم دولة واحدة وإزالة الحواجز بين البشر مثل الدين واللغة والعادات والتقاليد ومن بصمات العولمة إلغاء اللغة والاستعاضة عنها بالعامية كما نشاهد فى الإعلانات وقديماً سئل الإمام الزمخشرى رحمه الله: ما سرّ عشقك للعربية؟ فقال الإمام: لأن القرآن الكريم سيد الكتب عربى ومحمد سيد الأنبياء والمرسلين عربى ولسان الحق عز وجل يوم القيامة عربي.

ويقول الحق سبحانه وتعالي: «كنتم خير أمة أخرجت للناس» ورغم تخلفنا وفقرنا فمازالت راية الحق ترفرف فى كل مكان ومازلنا نتفوق على أمم الأرض بعقائدنا وقيمنا وأخلاقنا وفضل كتابنا.

إنهم يقولون: أنه من قواعد العولمة التكامل الاقتصادى فهم يحددون لك ما تزرع وما تصنع فإذا التزمت بذلك فلن تستطيع أن تخالف ما يأمرونك به لأنك إن فعلت ذلك فلن تجد ما تطعم به الناس إن غضب عليك من يأمرونك وتكون النتيجة أن ينطلق الناس كالكلاب الجائعة فى الشوارع. فكيف من الممكن أن تلتزم بذلك.

وفى مصر بالذات فإنه من غير المعقول أن نعتمد على الغير فمصر كانت دائمًا مصدر خيرات الأرض وتدبروا معى قول الله تعالى على لسان يوسف عليه السلام: «اجعلنى على خزائن الأرض» فخزائن الأرض هذه هى مصر أرض النيل. لقد وقفت على شاطىء المسيسبى عند زيارتى

لأمريكا وقلت: ياسبحان الله! هذا هو الذى يقولون عنه فى مناهجنا التعليمية: أن النيل أطول الأنهار فى العالم بعد المسيسبى مع كونه أضيق من ترعة الإسماعيلية وكأنهم يقولون ذلك لأنهم يظنون أن لا أحدًا من هؤلاء المساكين سيذهب إلى أمريكا وينظر ما هو المسيسبي. إنهم يخربون حضارتهم بأيديهم ويفسدون البيئة ويسممون أجواءهم بما تطلقه مصانعهم من غازات.

ونحن نعلم أن الكبد هو مخزن السموم وأن الفيروس «سي» هو الوباء الذى لا تقتله النار ولذلك فإن من أهم أسلحتهم التدميرية التى يواجهونها الينا هى ملايين الآطنان الضخمة الكبدة الأمريكية الملوثة بالفيروس «سي» فالذى يحدث أن الكبدة المصرية النقية تصدر إلى الأمريكان فى مقابل الأطنان المضاعفة من الكبدة الأمريكية الملوثة بالسموم من أجل خزائن الحيتان عندنا على حساب صحة جماهير المسلمين لأن من مستلزمات العولمة أن يمتنع الغرب عن أكل اللحوم الملوثة ليتم تصديرها لشعوب الدول النامية لقتلها بها.

إننا لم نسمع عن هذه الأمراض والفيروسات مثل «سي» و«الإيدز» وغير ذلك إلا من خلال العولمة، وفتح الأسواق بلا قواعد ولحساب من لا دين لهم ولا مبادىء ولا أخلاق ومن علامات الساعة أن يؤتمن الخائن ويخون الأمين فهم يهدمون الأجساد والأديان والأخلاق وعلى الرغم من أسلحتهم العديدة: إعلام وسياسة وقوة نووية فقد يكون الاقتصاد أخطر وسائلهم.

ونحن تخلفنا اقتصاديا لأننا أهملنا نصوصنا الإسلامية التى تحض على التنمية الاقتصادية فوقعنا فى كل تلك المشاكل.

ويصرخ فيّ معترض: كيف تفكرون؟! أمريكا تعطينا قمحًا فهل شريعتكم التى تريدون أن تطبقوها ستعطينا قمحًا؟!.

وأقول لذلك المعترض: ما بالك لوطبقنا نصًا واحدًا هو قول الرسول ﷺ: «من أحيا أرضًا مواتًا فهى له». فالأرض البور فى الإسلام هى ملك مشاع كالماء والهواء بالنسبة لمن يستصلحها ومهمة الدولة هى امداد هذه الأرض بالوسائل مثل الماء والكهرباء التى تمكن من يريد استصلاح الأرض من استصلاحها.

يقول تعالى فى سورة فصلت: ﴿قُلْ أئنكُمْ لَتكْفُرُون بالّذى خلق الأرْض فى يوْمَيْنِ وتَجْعَلُون لَهُ أنداداً ذلك ربُّ الْعالمين (٩) وجعل فِيها رواسي من فوْقها وبارك فِيها وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتها فِى أرْبَعَة أَيَّامٍ سواءً لّلسّائلين (١٠) ثُمَّ استوىٰ إلى السّماء وهي دُخانٌ فقال لَهَا وَلِلأرْض ائْتيَا طَوْعًا أوْ كَرْهًا قالتا أتيْنا طائعينَ (١١) فقضاهُنّ سبْع سموات فى يوْمين وَأَوْحَىٰ فى كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاء الدُّنْيا بِمصابيح وحفْظًا ذلك تقْديرُ الْعزيزِ الْعَليم﴾.

لقد خلق الله الأرض فى يومين والسموات فى يومين وقدر الأقوات لأهلها فى يومين.

لعمرك ما ضاقت بلاد أهلها

ولكن أخلاق الرجال تضيق

فالمسألة ليست فى الندرة ولكن فى عدالة التوزيع وفى القدرة على الإصلاح والتنمية ونسأل الله أن يرزقنا الرجولة فى مواجهة اليهود وحيلهن»

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الجلسة الرابعة

العولمة وقضايا الفكر الإسلامى

رئيس الجلسة : الأستاذ الدكتور/ أحمد المهدى

المتحدث الأول: المفكر الإسلامى الدكتور/ محمد عمارة

المتحدث الثانى: المفكر الإسلامى الدكتور/ على جمعة

المعقب : المفكر الإسلامى الدكتور / محمد مورو

وتعقيبات أخرى

كلمة الدكتور / محمد عمارة:

أصرح بداية أننى كنت ممتنعاً عن حضور هذا المؤتمر كما أبلغت الأستاذ مبروك لأنى قرأت إحصاءات عن مجموع الندوات التى عقدت حول العولمة فوجدت أننا أمام مئات من الندوات التى عقدت حول هذا الموضوع فى الفترة الأخيرة.

وقد كنا منذ أسابيع قليلة فى أحد الندوات بأبو ظبى (الإمارات) وأثرت هناك هذه القضية فقلت :إننا نقع فى خطأ ترك تحديد جدول أعمالنا للغربيين فهم يحددون لنا أجندة مايجب أن نتحدث فيه، حتى أننى ضربت مثلاً فقلت ، إننى أخشى أن نتحول لدور المتقف (الخالى شغل) فكأننا قاعدون ويدانا على خدنا ننتظر المقاول الذى يحدد لنا مايجب أن نتكلم فيه. فعندما قال لنا المقاول الغربى أن لديه حداثة ظللنا عقوداً من الزمن نتحدث فى الحداثة. وفجأة قال لنا هناك شىء جديد يسمى مابعد الحداثة فتركنا الحداثة دون أن نصنع الحداثة التى دعونا إليها وبدأنا الحديث فى ما بعد الحداثة . ثم قال إن لديه أصولية فبدأنا نتكلم فى الأصولية.. ثم قال إن لديه تنوير فتكلمنا فى التنوير وأخيراً ها هو يقول لنا أن لديه عولمة فبدأنا نتكلم فى العولمة.

ومن هنا فإننى أعتقد أن العقل العربى والمسلم يحتاج إلى وقفة يصنع لنفسه فيها جدول أعماله أى يعى التجديد ويجدد موقفه من المشكلات المطلوب منه أن يجنى من ورائها ثماراً . أى لا يتحول إلى مجرد صدى أو رد فعل لجدول الأعمال الذى يحدده الفكر الغربى والإعلام الغربى لأننا يجب أن نتسائل بالنسبة لقضية العولمة: هل نحن بالفعل بصدد قضية جديدة؟

ففجأة وجدنا مصطلحاً أُلقى به فى الساحة فبدأنا نتحدث عنه مثله فى ذلك مثل مايحدث الآن من تكرار الحديث عن القرن الواحد والعشرين كما لو كان مابين (٣١ ديسمبر) سنة ألفين و(١ يناير) سنة ألفين وواحد هناك نقلة زمنية... هناك تغيركيفى فى الموضوع !.

فأنا بودى أن نقف وقفة مستقلة مع النفس نبدأ بعدها الحديث من خلال منطقنا نحن .. من خلال أو لوياتنا نحن ونحدد جدول أعمالنا على أساس الأولويات التى تواجهنا.

وأنا فى الموضوع أميز ـ وأعتقد أن هذه ليست نقطة خلافية وكلكم تتفقون حولها ـ بين العالمية والعولمة لأن العالمية تمثل الأفق الإسلامى لأن الإسلام دعوة للعالمين منذ المرحلة المكية وبالتالى فإن العالمية ليست غريبة عن الرؤية الإسلامية بل الرؤية الإسلامية نزاعة إلى الرؤية العالمية إنطلاقاً من أن الإسلام هو الرسالة الخاتمة والعالمية.

والعالمية تعنى أن هناك حضارات متعددة ومتميزة أى أنها ليست متماثلة وأيضا ليست منغلقة منعزلة ومعادية وإنما هناك نوع من الخصوصية ونوع من التشابه . أى أن هناك مشترك بين كل هذه الحضارات وهناك بصمات ثقافية وحضارية تميز كل حضارة عن الحضارات الأخرى . وبين هذه الحضارات هناك قاسم مشترك تتفق عليه هذا هو البعد العالمى أو هذه هى العالمية فى الكوكب الذى نعيش فيه.

والمفروض أن تكون المؤسسات الدولية لهذا النظام ا لعالمى ـ إذا جاز استخدام هذا المصطلح ـ ممثلة للخصوصيات المختلفة والقاسم المشترك بين الحضارات العالمية.

أما إذا جاءت حضارة من الحضارات واجتاحت العالم بقوتها وفرضت نمطها فى الثقافة والمثل والقيم وطريقة العيش على العالم فهذه الحضارة لايمكن أن تكون عالمية وإنما هذا مايسمى خطأ بالعولمة لأن العولمة من المفروض أن تعنى شيئاً عالمياً ولكن هذا الذى يفرض الآن باسم العولمة ليس عالمياً وإنما هو الرؤية الغربية .. النظام الغربى .. الهيمنة الغربية كل هذا يفرض على الحضارات الأخرى.

ومن هنا يكذبون إذا تحدثوا عن التنوير.. يكذبون إذا تحدثوا عن الشرعية الدولية.. فكل هذا لاعلاقة له لابالدولية ولا بالعالمية ولا بالقاسم المشترك بين الحضارات الإنسانية.

إذاً لابد من التمييز بين العالمية التى نحن معها ونحن دعاتها وبين هذا الذى يبشرون به باسم العولمة لأننى قد تابعت بعض الأبحاث التى قدمت فى الندوات فوجدت أناساً عقلاء ووجدت أناساً ليسوا أناساً أصلاً. فللأسف الشديد أجد أحد الأشخاص الذين ولدوا بمنزل الوحى بالمملكة العربية السعودية يتحدث عن العولمة على أنها قدر لامفر منه. هذا رجل ينكر القضاء والقدر الإلهى ويتحدث عن أمريكا على أنها قدر فهل مثل هؤلاء الأناس هم الذين يرسمون لهذه الأمة طريقها ومسارها. إنهم يتحدثون عن العولمة على أنها قطار لأبد أن نركبه وإلاضاع منا الطريق وضعنا فى هذا العالم وهذا إنكار للقضاء والقدر.

ويكذبون عندما يقولون أن وسائل الإتصال جعلت العالم قرية واحدة. صحيح أننا أمام ثورة كبيرة فى عالم الإتصال لكن هذه القرية الواحدة بيوتها ليست سواء.. سكانها ليسوا سواء .أى أن هذه القرية بها الظالم والمظلوم بها القاتل والمقتول.. بها من يتأجج بأسلحة الدمار الشامل ومن

ينزع سلاحه وتنزع أظافره. أنظروا لماحدث اليوم : لقد ضرب الطيران الأمريكى أحد الردارات العراقية قرب البصرة لماذا؟

لأن هذا الرادار رصد طائرات بريطانية فوق أرض العراق! . أى أنه مجرد أن تفتح عينك على من يقتحم عليك أرضك وسيادتك تستحق أن تضرب. إذاً أين هى القرية الواحدة؟ !.

وإسرائيل لديها الأسلحة النووية وتقوم بهذا الأقتراء الذى تمارسه فى ظل هذه القرية الواحدة.

وعلى ذلك فنحن نريد أن نسأل أولئك الذين يطالبوننا بركوب قطار العولمة على أساس أن العالم قد غدا قرية واحدة : هل المطلوب مننا أن نركب القطار كعبيد؟ !.

فحديثهم هذا عن القرية الواحدة لايعنى أن الناس سيصبحون سواسية فالإغتصاب للأرض والعرض والحرمات والمقدسات فى بلادنا على قدم وساق والأمة الإسلامية تحرم وحدها من حق تقرير المصير فى فلسطين.. فى كشمير .. فى الفلبين.. فى البوسنة والهرسك وبلاد البلقان.. فى كل أنحاء أمتنا. حقك فى التنمية .. حقك فى أن تحكم بالقانون الذى تريده كل ذلك محرم على هذه الأمة.

فالكلام عن القرية الواحدة لايعنى أن أهل هذه القرية الواحدة أصبحوا سواسية وبالتالى نحن مدعوون أن نكون مواطنين كاملى المواطنة فى هذه القرية الواحدة . وأريد أن أقول أن ظاهرة أن يفرض الغرب هيمنته على الآخرين ليست ظاهرة جديدة . فعندما كانت الأمبراطورية البريطانية

لاتغرب عنها الشمس ألم تكن هذ ه عولمة ؟ كان القرار يصدر فى بريطانيا وينفذ فى مصر وفى الهند وفى بلاد لاتغرب عنها الشمس .

وعندما كان الرومان يحكمون العالم وكانواهم الأشراف والسادة وغيرهم البرابرة ألم تكن هذه عولمة؟!.

نعم إننا أمام صعود فى وسائل الإتصال الحديثة ولكن الجديد فى العولمة وأخطر ما فيها أن هذه الهيمنة الغربية تقنن باسم الشرعية الدولية وباسم النظام العالمى.

فقيم الغرب وثقافته يعملون على فرضها بالإعلام بالفكر بالجواسيس بالأختراق على كل الدول والحضارات الأخرى. والغرب الآن يقنن هذا الإختراق ويقنن هذه الهيمنة بوثائق وبرامج باسم النظام العالمى الجديد.

ومؤتمر مثل مؤتمر السكان عندما يعقد كى تكون هناك وثيقة تحت مظلة الأمم المتحدة لتقنن القيم الغربية فى التحلل والإنحلال إلى آخر فهذا جديد. فالغرب كانت له قيم يسبلها بسبل غير مقننة ولكن أن تتحول إلى قانون عالمى.. إلى وثيقة عالمية تحت مظلة الأمم المتحدة فهذا هو الجديد.. وكما رأيتم فى وثيقة السكان فإن المراهقين والمراهقات يكون لهم كحق من حقوق الإنسان أن يتمتعوا بالثقافة الجنسية عالية المستوى وأن الأباء والأمهات يكون عليهم أن يقدموا لأبنائهم هذه الثقافة . أن يكون حمل المراهقات حق من حقوق الإنسان وإجهاضهن حق من حقوق الإنسان بينما الزواج المبكر جريمة. أنظروا إلى ماذا يدعون: أن يكون الزنا المبكر حق من حقوق الإنسان أما الزواج المبكر فيكون جريمة ضد حقوق الإنسان !.

بل وحتى العمل المبكر يكون جريمة ضد حقوق الإنسان ولو كان بعد

البلوغ وحتى سن الخمسة عشر سنة.. ونحـن جميعاً كنا فلاحين وكنا نعمل في هذه السن ولكن ها هى منظمة العمل الدولية تقرر أن ذلك جريمة.

أقول : إننا الآن أمام تصعيد لهذه الهيمنة القيمية الغربية لأنها تتحول إلى قوانين تفرض على الناس.

كذلك فى موضوع المرأة فإنك تجد فى مؤتمر السكان أو فى مؤتمر بكين لا أقول موضوع مساواة الرجل بالمرأة فهـذا مطلب إسلامى «ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف» إنما حث المرأة على إلغاء حـتى الفروق الطبيعية والفطرية بينهـا وبين الرجل لدرجة أن الأناجيـل الآن تترجم ترجمات جديـدة تسمى فيهـا الذات الإلهية بالـذكورة والأنوثة لكـى تكون هناك مسـاواة لأن أمثال نوال السعداوى يعترضون على ذلك متسائلين : لماذا يكون الله ذكراً.

هذه هى القيم التى توضع الآن فى مواثيـق دولية لإلغاء الفطرة التى فطر الله الناس عـليها وفـرض الرؤى الغربيـة الديانات والأيـديولوجيـات التى تتمرد حتى على الـديانات الغربية مثل النصرانية. إننـا نشهد الآن فى الفكر الغربـى تحولات فى اتجاه تـهويد النصـرانية الغربـية أى بدلا من أن تـعترف اليهودية بـالنصرانية يحدث الآن فى الـفاتيكان أن يصير الإلـه هو يهوه فى أحد المؤتمـرات قال البابا يـوحنا بولس الثـالـث أنه قد عقـد المؤتمر ليجـتمع مائتـان قس من الكـاثوليك والـبروتستـانت لتغـيير الأناجـيل التى كـانوا يتحدثون عـنها على أنها شيء مقـدس. بما لايعادي اليهود والكنـيسة التى ظلت قـروناً عديدة تـبيع صكـوك الغفران الآن تـطلب من الـيهود التـوبة والغفران.

هذه هـى تحولات العولـمة أى أن هناك الآن تحولات تـتم فى الغـرب ثم يعملون على فرضها على العالم أجمع.

نحـن نقرأ عن الـغرب أن هناك رجـال دين من الـشواذ .. أن الكنـائس تزوج الشـواذ .. بل أن فى إنجلـترا البلـد المحافظ أحد وزراء وزارة الـعمال الحاليـة شاذ والرجل الـذى يعيش معـه يحضر جـلسات وزارة العـموم فى الغرفـة المجاورة على أساس أن لـه أمتياز الزوجة ومـثل هذه القيـم تفرض الأن على العالم باسم العولمة. ومع كل هذا يـطالبوننا بسرعة ركوب القطار وأن نرضى بهذا القدر الذى يفرض علينا.

وأريد أن أتسائل معكم: لماذا الغرب يريد أن يفرض علينا العولمة؟.

القضية ليست سحراً ولكن هناك فى بـنية الفكر الغربى والحضارة الغربية هذه النزعة للهيمنة. فنحن قد أعتدنا مايسمى بالمركزية الغربية أى أن الغرب لايعترف بالآخر ويـريد أن يفرض ذاته عليه وأنتم تابـعتم وقرأتم كل الذى قيل وكتب بعد سقوط الإتحاد السـوفيتى من أن الإسلام الأن هو العدو لأنه مستعصياً عـلى العولمة وإنه للآن لم يتبنَ النموذج الغـربى ولذلك فإن على حلـف الأطلنطـى أن تتوجه آلـته الحربـية إلى العـالم الإسلامى. كـل ذلك الكلام يقال على مستوى عال وليس تبعاً لنظرية المؤامرة مثلما يتهمنا بعض المتـغربين . وإنمـا هذا الكـلامٍ معلـن على أعـلى المسـتويات الـغربيـة وهى مستويات مسئولة فليس هذا الكلام كلام المتقفين غربيين إنما هو كلام على مستوى صناع القرار.

سأحكى لكم حكاية ذات صلة بما نقول لقد قرأت مقالاً الأسبوع الماضي للسيد ياسين يثنن فيه علي بحث لجميل مطر. وجميل مطر هذا من الباحثين الجادين وأنا أحترمه كـثيراً ولقد وصف مطر الحضارة الغربـية بأنها حضارة داروينيه نسبة إلى دارون أى أن الحضارة الغـربية فى رأيه تقوم على الصراع

ضد الحضارات الأخرى مثل الصراع بين الأحياء عند دارون وهذا يتفرع منه صراع الحضارات ونهاية التاريخ إلى أخر هذه المقولات..

وعلى الرغم من أننى سعدت بإعجاب السيد ياسين بأراء جميل مطر ومع ذلك فقد ضحكت لأننى عندما كنت أكتب كتاباً عن المودودى فى السبعينات وجدت أن المودودى عندما تحدث عن النظريات التى تقوم عليها الحضارة الغربية فإنه حددها فى: فلسفة هيجل فى التاريخ ـ نظرية دارون فى الأحياء ـ الصراع الطبقى عند ماركس . وتكلم المودودى فى ذلك كلاماً نفيساً وعبقرياً لماذا ؟ . لأن نظرية هيحل فى فلسفة التاريخ تذهب إلى أن العصر الجديد ينسخ العصر القديم. . ليس هناك ثوابت (عملية نسخ)... عند دارون القوى ينسخ الضعيف ويزيله .. عند ماركس الطبقة الوليدة تنسخ الطبقات السابقة ..إذاً المحور فى الحضارة الغربية هو الموقف الصراعى: طرف يصرع الآخر وينهيه ويزيله وينفرد بالميدان وعندما كتبت كتابى عن المودودى وعرضت أفكاره هذه فى باب عن نقد الحضارة العربية وكنت قد نشرت جزءاً من هذه الدراسة قبل طبع الكتاب فى مجلة العربى فى أوائل الثمنينات فإذا بالدكتور فؤاد زكريا ينفذنى فى العربى ويقول : هذا الذى كنا نتصور أنه مستنير هاهو يهاجم الداروينية ويقول عنها هذا الكلام.

لقد تكلمنا عن أن الداروينية قدمت مبرراً للاستعمار لأن الإستعمار بدلا من أن يشعر بتأنيب الضمير يعتقد من خلال هذه النظريات أنه يقوم برسالة حضارية عندما يزيل مواريث الأمم و البنى التحتية لها ومجتمعها المدنى القائم بها والحرف والصناعات الخاصة بها ويعتبر نفسه أنه يمدنها. حتى ماركس تكلم عن أن غزو فرنسا للجزائر من التمدن وإزالة الرجعية

والتخلف وتحدث بنفس هذا ا لمنطق عن الهند مع أن الماركسيين عندنا كانوا دائماً يخفون هـذه النصوص لأنها تفضح الرجل لأنـه كان يتحدث عن أن الاستعمار يقوم بدور تحديثى ودور تمدينى للمجتمعات المستعمرة.

فأنا عندما تحـدثت عن النزعة الداروينية إنطـلاقاً من كلام المودودى عن الحضارة الغربية سخر منى فؤاد زكريـا وهذا ماجعلنى أضحك من إعجاب السيد ياسين بما قاله جميل مطر وقلت فى نفسى لوكان السيد ياسين قرأ لى أنا هذا الكـلام أو لآحد غيرى من الإسلامـيين لما كان كتب هـذا الإعجاب الذى كتـبه عن كلام جـميل مطـر. لأنه عندنا تحـدث طائفيـة ثقافيـة حيث يختلـف الموقف مما يقولـه أحد الإسلاميين عمـا إذا قاله غيره من الـباحثين والكتاب.

هذه هـى قضيتـنا مع الحـضارة الغربـية ففـى الاقتصـاد يحدث اجتـياح لاقتصاد الشعوب وأنا لست متخصصاً فى الاقتصاد ولكنى أريد أن يجيب ا الاقتصـاديون عندنا عـن تفسيـر ماحدث بالنـسبة للنـمور الأسيويـة. لقد تابعـت بعض التفـسيرات التى كـتبت فى هذا مـثل أبحاث الدكـتور حازم الببلاوى وغيره ومع ذلك سأقدم لكم تفسيراً أعلم أننى لو كتبته لهوجمت من العلمانيين هجوماً شديداً.

فالتجارب التى حدثـت فى أندونيسيا وماليزيا برغم عظـمتها كان هناك دور كبير للشركات المتـعد دة الجنسية بالنسبة لها وبالتالـى لم تكن مفاتيح الأمور بأيدى الحـكومات والشعوب فـالتنمية الـتى تحدث نتيجـة التدخل ا لأجنبى مـن الممكن عند الـلزوم القضاء علـيها . والنقطـة الأخرى أن هذه التجارب التنموية ربطت نفسها بالمركز الغربى فلم يكن هناك سوق إسلامية مثـلاً وبالتالـى فأنت لسـت حرا حقيـقة : فرأس المال أجـنبى والشـركات

أجنبية. والاستثمارات أجنبية والخبرات أجنبية والتكنولوجيا غربية والأسواق غربية .. وهكذا فأنت مربوط بالمركز الغربى.

الأمر الآخر هو حكاية سوق المال وقد قال مهاتير محمد : إن الملياردير سورس بما فعله من لعب فى البورصة هو الذى بدأ الضرب فى هذه التجارب. ففكرة تحول المال إلى سلعة يضارب عليها وجعلها بديلاً للإنتاج والعمل هى نفسها الفكرة التى وراء تحريم الإسلام للربا فنحن هنا فى الأزهر نتعارك حول الفائدة وهل هى حلال أم حرام وليست هذه هى القضية الأصلية.. فالقضية الأصلية هى فلسفة الإسلام فى المال . إن المال ليس سلعة يتاجر فيها لأن هذا هو الذى يصنع التضخم ويصنع عالماً اقتصادياً آخراً لاعلاقة له بالاقتصاد الحقيقى .. ليس له أدنى علاقة بالإنتاج أو الزراعة أو الصناعة أو بكل هذه الأمور. وهذا يبين أهمية الرؤية الإسلامية فى فلسفة الأموال والتى أرى وجوب دراسة عيوب ماحدث فى التجارب الأسيوية فى ضوئها.

وعندما حققت أعمال محمد عبده بهرنى أنه عندما تكلم عن الربا قد لمس هذا البعد وقال كيف أن تجارة المال تركز المال فى جانب والفقر فى جانب ولم يكن قد أثيرعندنا بعد موضوع التضخم الذى هو المتاجرة فى المال . فالبنك يأخذ منك بفائدة خمسة فى المائة مثلاً وينقل لغيرك بفائدة عشرة فى المائة ومن أخذ بعشرة ينقل بخمسة عشر وهكذا فالمال سعره يزيد دون زيادة حقيقية فى الإنتاج . أى أنه بعيداً عن وظيفة المال تتم عملية التضخم وبصنع سوق المال من الممكن أن تضرب تجارب تنموية بعيداً عن عملية الصناعة. فلم تتم عملية اللعب فى الصناعة التى آقامتها آندونيسيا وماليزيا وإنما اللعب تتم فى البورصة لأنك صنعت اقتصادا فى المال مواز

للاقتصاد الإنتاجى وجعلت هذا فى يد السماسرة اليهود وعملاء المصارف العالمية. إذاً فلكى تتم العولمة فلا بد من الاختراق والهيمنة ومسك مفاتيح البلاد وعندما كان ينشأ لدينا مشروع مترو الأنفاق كنا نقول أن المترو فى القاهرة ولكن الذى يمغنط التذكرة فى فرنسا فالذى يمسك لك المفتاح (التذكرة الممغنطة) هو فرنسا لقد كنا نقول أخذوا الصندوق يامحمد ولكن مفتاحه معى لكن الآن المفتاح معهم وهذه هى فكرة العولمة فحتى فى التجارب التنموية الجيدة والمبشرة تكون مخترقاً تماماً ويكون مفاتيحها مع الغرب وطبعاً هذا يتبعه تآكل السيادة فى الدولة الوطنية والقومية وأريد أن أقرأ عليكم التعليق الذى كتبته فى الشعب عما نشره أحد الأشخاص فى جريدة الأهالى حيث زعم أنهم يقفون مع الضغط الأمركى على الحكومة المصرية فى مسألة الأقليات لاننا فى عصر العولمة والدولة منقوصة السيادة فتساءلت : ولماذا تكون مصر فقط منقوصة السيادة ؟!

فإذا كانت العولمة حقيقية فلا بد أن تكون أمريكا أيضاً منقوصة السيادة وكما يضعون أسطولاً فى الخليج يكون لناأساطيل هناك. فلماذا تكون سيادتنا نحن فقط منقوصة وتسمى ذلك عولمة؟!. الأصح أن نسميها هيمنة. فالعولمة كما قلنا إن كان المقصود منها العالمية فلا بد أن تكون حقوقنا جميعاً متساوية ولكن المقصود الحقيقى من العولمة أن تكون سيادتنا نحن فقط هى السيادة المنقوصة.

إن هذا لم يعد يتم فقط باسم النظام العالمى ولكن أمريكا الآن أصبحت تشرع للعالم صراحة فالكونجرس الأمريكى يصدر قراراته بعدم الإتجار مع ليبيا أو بعدم الإتجار مع إيران ويضع العقوبات على مخالفة ذلك حتى

حاولوا أن يفرضواعلى أوروبا نفسها عقوبات ولكنهم تراجعوا بعد ذلك وآخر ما فعلوه بشأن هذه العقوبات هو قانون الأقليات الأخير.

هؤلاء الذين يدعون الدفاع عن حقوق الإنسان فى العالم هم الذين أبادوا الهنود الحمر ولاتزال التفرقة العنصرية فى أمريكا تمثل أعلى معدلاتها فى العالم ولاتزال الحروب الدينية فى أوروبا إلى الآن من البلقان إلى أيرلندا إلى آخرة .. ونفس هذه الأمور موجودة فى يوغسلافيا أى أن أوروبا لاتزال تعيش حروباً دينية ويعودون مرة أخرى التدخل في الشئون الداخلية للدول من ثغرة الأقليات والأقليات المقصودة هنا ليست فقط الأقليات غير المسلمة فأنا اليوم سمعت خبراً فى لندن عن المغنى الذى قتل فى الجزائر وما الذى قالته الصحف الفرنسية عن ذلك فعندما تحدث مندوبهم فى لندن عن ذلك قال : قال إن القتل كان يناضل من أجل الأمازيغية .. يناضل ضد اللغة العربية.. يناضل من أجل اللغة الفرنسية كلغة للإنفتاح.. يناضل من أجل العلمانية..هذا البرنامج الذى عقدت لأجله مؤتمرات فى باريس أقامتها منظمة الآمازيغية التى يعمل فيها محمد أركون الذى جاء يعلمنا الإسلام وماهى حداثة الإسلام التى من الممكن أن تكون . وهو يعمل لدى الفرنسيين فى موضوع الأمازيغية.

وما أريد أن أقوله أن الإختراق الذى يحدث من خلال موضوع الأقليات ليس فقط متعلقاً بالأقليات غير المسلمة لأنهم يلعبون الآن بورقة الأكراد..وبورقة الأمازيغ.. مثلما يلعبون بورقة الموانة وورقة الأقباط.

وأريد أن أقول أن قضية الأقباط لابد أن نهتم بها ليس لأن عندنا مانعتذر عنه أو أن لدى الإسلام ما يعتذر عنه وإنما لأنها أصبحت باباً للإختراق وأنتم ترون المراكز التى تعمل فى هذا الموضوع عندنا والممولة علناً من

الخارج وأقول إننا أحرص الناس على معاييـر الإنصاف بالنسبة للأقليات . فالمسلمون مليار وثلث مليار فى العالم وربع المسلمين أقليات .إذا فإن من مصلحتنا كمسلمين ـ فضلاً عن معايير العدل ـ أن تكون هنـاك ضوابط منصفة للأقليات ، إن لدينا علي سبيل المثال فى الهند مائة وخمسين مليون من المسلمين أقلية. إذاً المسلمون أولى الناس بأن تكون هناك معايير داخلية وأقليـمية و عالميـة تتعامل علـى آساسها الأقليـات ومن ناحيـة أخرى فإن الوحدة الوطنية لا بد أن تبنى على الحقـائق وليس على الأوهام فعندما يأتى شخص ويقول آن الدين الإسلامى طارىء عـلى مصر وإنه لذلك يجب أن يكون هناك امتياز للدين الأقدم. فلـنا أن نقول عند ذلك : إن النصرانية فى مصـر أيضـاً وافدة .. بـل أن النصـرانيـة فى الـعالم كـله وافـدة حتـى فى الفاتيكان نفسها لا يستثنـى من ذلك سوى فلسطين . بل أن اليهودية و افدة على فلسطين لأنه لاعلاقة لها بفلسطين.. ؛لاتوراة ولا أنبياء اليهودية عرفوا فلسطين. إذا لابـد من إنهاء هذا الوهم الذى يتحـدث عن دين قديم ودين وافد.

النقطة الثانية : أن المساواة كامل المساواة فى حـقوق المواطنة حق من حقوق الله ولـيس حق من حقـوق الإنسان لأن الله سبحـانه وتعالى بـحكم خلقه للبشر بصرف النظر عـن الدين ـ لابد أن تكون لهم كامل المساواة فى حقوق المواطنة هذا معيار.

المعـيار الثـانى هو : هـو أنه للأقـلية فى كـل بلاد الدنـيا أن تقـيم دينـها والحلال والحرام فى دينهـا ولكنها لايجوز أن تصادر حق الأغلـبية فى هوية الدولـة . وخمسـة مليون مـسلم فـى فرنسـا من حقـهم أن يقيـموا دينـهم والحلال والحرام فـيه ولكن لـيس من حقـهم. أن يصادروا هـوية علمـانية

الدولة الفرنسية ونفس الأمر إذا تحدثنا عن الأقلية فى الهند. وهذه قضايا لابد من التوسع فيها بدلاً من إستغلالها فى إطار العولمة.

الكلمة الأخيرة هى عن الوهم الذى يتحدث عنه دعاة العولمة وأعنى بذلك مايقولونه عن الإعتماد المتبادل أى أننا عندما نلحق بالعولمة يكون بيننا وبينهم إعتماد متبادل.

فهل من الممكن أن يكون هناك اعتماد متبادل بين رجل عاجز وأسد مفترس؟!. ويحضرنى في ذلك نكته كانت تروى عن حاجب محكمة سُأل مرة عن مرتبه فقال: مرتبى أنا والقاضى مائة وثلاثة جنيهات هو ثلاثة والقاضى مائة فهل هذا هو الأعتماد المتبادل؟!.

فالاعتماد المتبادل لوكان حقيقياً فإنه يفترض أساساً أن تكون قوياً .. تكون لك هوية مستقلة ولكن عندما أكون ضعيفاً وتابعاً وملحقاً فهل أقول : أنا وأمريكا!.. إذاً فما الذى يحدث الآن فى العراق من الأمريكان؟!..

أين العراق ؟! وأين أمريكا؟!.

أين الصلف الإسرائيلى وأبو عمار ؟!.

إذاً هذا الصلف المتبادل وهم من الأوهام.

فنحن مع العالمية ولكن هذا الذى يسمى بالعولمة هو تسابق وتطور فى أدوات الهيمنة والجديد فى ذلك هو تقنين هذه الهيمنة . أما كون الغرب يعمل على فرض هيمنته علينا فهذا مرتبط بموقف الحضارة الغربية القديم منذ الإحتكاك بينها وبين الحضارة الإسلامية وشكراً .

ورقة الدكتور علي جمعه

شاع لفظ العولمة فى الاستعمال البومى فى الصحافة والإعلام، ولم يدخل بعد بصورة واضحة فى المصطلحات الأكاديمية ، مما سبب له شيئاً من الغموض وعدم التحديد، **وهو لفظ قد يدل على حالة بأكثرممايدل على مفهوم**، وحالة العولمة هى تلك الحالة التى يعيشها الناس .. من خلال تطور المواصلات والاتصالات والتقنيات الحديثة والتى تمكن ا لناس فى الأرض كلها من التواصل ا ليومى والآنى بعضهم ببعض ومايترتب على ذلك من سهولة عرض وانتقال وتبنى الأفكار والمذاهب الاجتماعية والسياسية والدينية والاخلاقية وكذلك عرض السلع والخدمات وتأثير ذلك فى الأذواق والتوزيع ونمط المعيشة ومستواها ومايلى ذلك من تأثير فى التنميةوالتطور والعلاقة مع النموذج الشائع أو التى تتبناه الجهات الأكثر قوة أو الأكثر تمكناً من الصناعة وهو عادة النموذج الغربي والنظام الغربى ونمط المعيشة الغربى عموماً والأمريكى علي جه الخصوص.

هذه الحالة جعلت هناك كثيراً من اللبس عند كثير من الناس والمدعون بأن العولمة مفهوم يُدعى إليه، ومن هنا فإنه يدعى إليه من قبل النموذج الأمريكى مما جعل هناك فريقين:ا لمؤيدين والعارضين.

إن النموذج الغربى والأمريكى خاصة هو المسيطر على حالة العولمة، مما يجعلنا فى معالجتنا لهذه الحالة مضطرين للتعرض للمفهوم الحالى في هذه الحالة.

أولا : حالة العولمة

١ـ حالة العولمة ناتجة من تطور المواصلات والاتصالات

٢ـ حالة العولمة أدت إلى بعض الظواهر منها:

أ ـ الجوار : وهو ظاهرة معناها أن البشر تتجاور برابطة أخرى غير رابطة العقيدة أو العنصر أو القومية أو حتى اللغة أو المصالح المشتركة بل برابطة الجوار، ومن هنا فلا بد من عدم الاعتماد على أى رابطة من الروابط السابقة، وليكن المشترك بين الناس هو الإنسانية فقط وهذا الفهم أحد نواتج العولمة (والذى ينبغى أن يشيع حتى لايقاتل الناس بعضهم بعضا) هكذا يرى دعاة مفهوم العولمة الذين يحولون الحالة إلى مفهوم يُدعى له ويبشر به. .

ب ـ ظاهرة الزوال: وهى شعور الإنسان بعدم وجود ثابت أو كل شىء قابل للتغير والزوال وأن التطور السريع للصناعة وظواهر الموضة المتغيرة كل سنة بل كل فصل من فصول السنة يؤدى إلى ذلك الشعور فإذا انضم إليه الدعوى إلي النسبية المطلقة وإلى كسر المطلق والثابت والخروج عنه بدعوى الحرية أو حتى بدعوى التفلت إذا انضم ذلك إلى الزوال تحول من حالة إلى مفهوم مطلوب وليس مجرد حالة نستطيع التعامل معها أو نسعى لتغيرها أو القضاء عليها.

جـ ـ ظاهرة العزلة الفكرية والحرية السلوكية: نتج عن الجوار والزوال أن كل شخص قد تمسك بخصوصيته فانعزل عن النموذج الشائع فاصبح منعزل الفكر منفلت السلوك بدعوى أنه يتمسك بالجوار ومستسلم لحالة الزوال.

ثانيا : مفهوم العولمة

أدى تحويل العولمة من حالة إلى مفهوم إلى انتشار فكر مدارس مابعد

الحداثة الـذى تدعوا فى صـوره المتطرفـة إلى زوال الدولة والاسـرة والدين الثقافة واللغة باعتبارها قيوداً علـى الفكر والعمل معاً وبذلك يصل الإنسان إلى النـسبية المطلـقة التى تسـاوي السفسطة فـى الفلسفـة القديمة العبـثية والفوضوية فى الفلسفات الحديـثة التى ادعت موت الإله ثم موت الإنسان والاستجـابة إلى هذه القـضية باعتـبار العولمـة مفهوم ومايـترتبت عليـه يعد ضياعاً لتراث الإنسانية وتدميراً لكل الأديان.

ما العمل

١ـ العولمة حالة وليست مفهوماً وينبغى التعامل معها على هذا الأساس.

٢ـ تعلم السباحـة وعدم محاولة منع الفيضان، فلـيس فى الندوات منع العولمة باعتبارهـا حالة ولكن من الممكن التعامل معـها ومع المفاهيم التى تحمـلها واتخاذ موقف الضد الـواعى بازاء النموذج الغـربى عامة والأمريكى خاصة.

وتعـلم السبـاحة يتـمثل فى الإدراك الـواعى لعقـيدة التـوحيد ونظـرية التكـليف عند المـسلمين فالرب رب والـعبد عبد والله يـأمر والعبد يـطيع، ونؤمن بالرسل والرسالة ونؤمن بيوم آخـر يتحكم فى سلوك الإنسان ويبين أن الإيمان بالله حقيقة واقعية وضرورة اجتماعية وإنسانية وصحية وحياتية.

وأن المطلق موجود والـثابت حقيقة والنسبى والمتـغير واقع وأن المقدس لاينبغى المـساس به وأن الدعوة إلى الله واجبة وإرشاد الخلـق لدين الحق أمر لا بد منه. إن هذه المُسلَّمات عند المسلـمين هى طرق التجاة وقواعد السباحة فى فيضان حالة العولمة... وإلاّ فالهلاك .

تعقيب الدكتور/ محمد مورو:

ما أراه هو أن العولمة ماهى إلا تبرير للهيمنة أى أننا لابد أن نفصل بين أمرين: بين الهزيمة الحضارية المتعلقة بنا والتقدم التكنولوجى الغربى والتطور الرأسمالى الغربى وبين مايفعلونه من فرض الهيمنة علينا كما يقول الدكتور عمارة فهذه العولمة التى يتحدثون عنها مجرد كلام فارغ وخدعة كبرى يتم بها تبرير الهيمنة فليس كما يقول السيد ياسين أن تقدمهم التكنولوجى قد صار قدراً ومن ثم العولمة قد صارت قدراً فنحن نعترف بسبقهم التكنولوجى بلاشك ولكننا نرفض أن يكون ذلك مسوغاً لفرض إرادتهم وإلغاء إرادتنا كاملة.

إننى أقر أننا بالفعل فى حالة هزيمة حضارية وهزيمة تقنية وأن المنحنى الحضارى الإسلامى الآن فى حالة هبوط وأنهم فى حالة سيادة عسكرية واقتصادية وسياسية على العالم لأن هذا لن يمنع أن منحنى حضارتهم سيمضى إلى الهبوط فى الوقت الذى سيمضى إليه منحنى حضارتنا إلى الارتفاع وكما يقول الدكتور على جمعه نحن نحتاج إلى ثور ة فى العلوم الشرعية نحتاج إلى ما أسميه أنا بفقه الإقلاع . فنحن نحتاج إلى فقه جديد يتناسب مع حالة الإقلاع الحضارى التى ننشدها لأن الظرف التاريخى الذى نقع فيه الآن لم يحدث فى التاريخ الإسلامى من قبل فقد كنا فى حالة تفوق حضارى ثم كانت هذه الهزيمة الحضارية والآن نحن فى حالة الإقلاع من تلك الهزيمة الحضارية التى تحتاج إلى فقهها الخاص لأن هذه الحالة لم تحدث فى التاريخ الإسلامى لأننا كنا فى حالة انتصار أو تعادل ولم تكن وسائل الإتصال والهيمنة قد بلغت هذا المدى من القوة .

ولقد طرح الدكتور/ عمارة سؤالاً حول فشل تجربة النمور الأسيوية وأنا أعتقد أن هذا يرجع إلى فلسفة البناء التى تقوم بها الأمم فإذا كانت الأمم تسعى إلى بناء منشآت ومصانع متقدمة فإن الغرب يملك صواريخه التى تستطيع تحطيمها وحتى إذا أردت عمل حركة إسلامية ذات تنظيم مؤسس قوى فإن كل ذلك يسهل ضربه سواء عن طريق الغرب أو رجال الحكم لأننى إذا اعتمدت على إنتاج نفس الوسائل المادية فإن ذلك سيؤدى إلى الهزيمة الحقيقية أمام العولمة. وعلى سبيل المثال فإن ما تعود عليه الفلاح فى معيشته فى الماضى من استقلال يجعله بمنأى يعصمه عن تقلبات البورصة أو السوق العالمية وعن أمثال المليارديرسورس فالتنمية المستقلة هى أن أنتج الشىء الذى أريده أنا والذى أملك خاماته والذى لايمكن توجيهه من خلال الاقتصاد العالمى فبدلاً من أن أنشىء مصنعاً شديد الضخامة يتحكم الغرب فى تقنياته علىّ أن أصنع ألف مصنع صغير برؤيتى أنا. أى أن التنمية الحقيقية هى تقوية المجتمع وليس تقوية الدولة . تقوية الإنسان وليس تقوية المؤسسة هذا هو رأيى فى الإجابة على سؤال الدكتور عمارة وشكراً.

تعقيب الباحثة هبة فراج

وجاء تعقيب الباحثة هبة فراج الذى تحدثت فيه عن العولمة والطفل فقالت:

الطفل يمثل المستقبل الذى تتوجه إليه كافة الوسائل الإعلامية والثقافية والتربوية ومايحدث الآن من خلال العولمة والاحتكار القمي الغربى للإعلام أن الطفل يزداد فقراً ثقافياً إضافة إلى الفقر المادى الذى يعيشه بالفعل.

من ناحية أخرى فإن ثقافة العولمة تعتمد بالأساس على اللغة الإنجليزية الأمر الذى يعمل تدريجياً على القضاء على اللغة العربية وهى من أهم العناصر الحضارية التى يجب أن يتشكل وعى الطفل من خلالها.

وكذلك فإن العولمة وما يرتبط بها من نمط إستهلاكى وتقنيات إعلامية متقدمة فى الترويج لهذا النمط تؤدى إلى ارتباط الطفل بنسق معيشى وتطلعات معيشية ترفية لاتتناسب مع وضع أسرته الأمر الذى يصنع التناقض بينه وبين واقعه.

والعولمة لهاتأثير كبير على التفكير العقائدى والقيمى لدى الطفل فهى تدعوه إلى التخلص من قيود الدين وتظهره بأنه حيلة الضعفاء والمتواكلين وتحل القيم المادية محل القيم الروحية وتغرى الطفل بالتطلع إلى المنتجات المحلية وذلك من خلال الإعلانات التى تتحول إلى مادة تربوية تشكل وعيه ومدركاته.

ومن أهم سلبيات العولمة هو انتشار العنف بين الأطفال والترويج

الإعلامى لـه بأنه وسيـلة لنشر الخـير أو الحل الوحـيد لنشر المـعانى الطـيبة وإقصاء الحوار العقلى كوسيلة لنشر القيم وأظهر مثال على ذلك مايحدث فى مسلسلى زينه وهرقليز .

فالصراع فيـهما لايعتمد على غيـر العنف وكما نعرف فإن الـطفل ليس لديه تفكير تقدمى لكنه شديد الحساسية والتأثر بالقيم التى توجه إليه.

ولكـى نصل إلـى طفل ينـتمى إلـى وطنه ولـديه القدرة عـلى مواجـهة عمليات الاحتواء فلا بد من العمل عـلى إنشاء إعلام عربى إسلامى يخضع برامج الأطفـال للتوجيه فـى الوقت الذى تكون لـديه القدرة على مـنافسة البرامج الغربية والتفوق عليها.

وكذلك فإن الـتعليم فى مراحـله المختلفة يـنبغى أن يكون مسـتنداً إلى القيم الدينية والأخلاقـية وطبيعة المجتمع وطبيعة المتعلـم نفسه وتنبيه الآباء والأمهات إلى مخاطر العولمة التى يجب مواجهتها.

الورقة الأخيرة

الإسلام دين العالمية
لا للعولمة

ورقة الأستاذ جمال البنا

الإسلام دين العالمية لا العولمة

ورقة الأستاذ جمال البنا[1]

ما أن ظهر الإسلام حتى ظهرت طبيعته «العالمية» فى صورة مصغرة أو «جنينية»! كما يقولون فمن الأيام الأولى كان حول الرسول سلمان الفارسى وصهيب الرومى (بالإضافة إلى جارية رومية عذبت واستشهدت فى سبيل الإسلام) وبلال الحبشى لقد آخى الإسلام بينهم وصهرت روحه القوية فوارق الدم والجنس فيهم كما كان حوله الرجال والنساء والأطفال أحراراً وعبيداً.

صحيح أن دعوة الإسلام بدت أولاً محلية، ولكن هذا كان فى ترتيب البدء بالدعوة لأن هذا هو ما يقتضيه طبيعة الأشياء فقد بدأت أولاً « أنذر عشيرتك الأقربين» ثم (أم «القرى حولها» ثم جاء الأنصار، وأرسل الرسول إلى الأنصار معلمين، ثم بدأت الهجرة إلى المدينة إرسالاً كللت بهجرة الرسول).

وعندما استقر الرسول بالمدينة كان من أعماله الأولى المؤاخاة التى قام بها بين المهاجرين والأنصار فقرن كل واحد من المهاجرين بواحد من الأنصار اعتبره أخاه، ووصل كرم الأنصار، وثقتهم فى هذه المؤاخاة إلى الدرجة التى كان الأنصارى يعرض على أخيه المهاجر نصف ماله وإحدى زوجتيه بعد أن يطلقها[2].

---

(١) ألقيت هذه الورقة فى مؤتمر الإسلام والعولمة الذى عقد بحزب العمل.

(٢) ظهرت أهمية المؤاخاة كأسلوب من أساليب الدعوة أو الدعاة فى العصر الحديث عندما تبناها لينين وأصر عليها عند عقد معاهدة برست ليتوفسك مع أعدائه الألمان، وكانت صورتها أن يسمح لجنود الروس بالاختلاط بالجنود الألمان، وكانت فكرة لينين أن هذا الاختلاط سيكسب للروس فريقاً من الألمان أما كشيوعيين أو كأصدقاء بعتبار أنهم جميعاً جنود.

وكانت الثانية هى «صحيفة الموادعة المشهورة» التى جمعت الفئات اليهودية داخل إطار «أمة المدينة» ورتبت عليهم واجبات كما منحتهم حقوق مثل واجبات وحقوق الأنصار.

وتعد صحيفة الموادعة من أولى المعاهدات إن لم تكن أولى المعاهدات .. التى تترفع فوق حواجز الدين وفوارق الجنس وتمنح الجميع حقوقاً وواجبات متساوية..

ومع الزمن كانت الطبيعة العالمية للإسلام تتضح وكانت نصوص القرآن صادعة بذلك، وحدت الآيات التى يتصدرها «أيها الناس» محل الايات التى توجه إلى المؤمنين.. والتى تصرح ببعثة الرسول «إلى الناس جميعا» وتصف «عالمية الإسلام».

﴿قل يا أيها الناس إنى رسول الله إليكم جميعاً﴾ (١٥٨ الأعراف).

﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾ (١٠٧ الأنبياء).

﴿وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً﴾ (٢٨ سبأ).

وسلك الإسلام طريقة «حضارية» سلمية فى الدعوة لعالميته، تلك هى الخطابات التى أرسلها الرسول إلى ملوك الدول المعروفة وقتئذ الروم والفرس ومصر وكانت هذه الكتب تدعو هؤلاء الحكام للإيمان بالإسلام أو تحملهم مسئولية إبقاء جماهيرهم فى ظلمات الكفر إن رفضوا..

وكما هو معروف فقد رفض الجميع باستثناء المقوقس الذى لم يرفض ولم يقبل وأهدى إلى الرسول هدايا.

وأتم الخلفاء الراشدون ما بدأه الرسول عندما أرسل رسله فجوبه

بالرفض، ذلك أنه كان يَسْعَ المسلمون وليس لديهم قوة أن يقنعوا بتبليغ الملوك ولكن عندما توفرت لهم القوة كان لابد من تبليغ الشعوب والجماهير، والمجتمع الكافر بصفة عامة برسالة الإسلام ..

ذلك أن التبليغ برسالة الإسلام جزء لا يتجزأ من عالمية الإسلام باعتباره الرسالة الخاتمة.

ولننظر سويا إلى هذه الآيات الكريمة:-

﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً﴾(البقرة ١٤٣).

﴿فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً﴾ (النساء ٤١).

﴿ويوم نبعث فى كل أمة بشهيد عليهم من أنفسهم وجئنا بك شهيداً على هؤلاء ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيد وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين﴾(النحل٨٩).

﴿وجاهدوا فى الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم فى الدين من حرج ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفى هذا ليكون الرسول شهيداً عليكم وتكونوا شهداء على الناس﴾ (الحج ٧٨).

إن هذه الآيات عظيمة الدلالاة فيما نحن بصدده لأنها تؤكد عالمية الإسلام بما تفرضه من واجب إشهاد الأمم على الإسلام، وهي.

(١) تؤكد عالمية الإسلام.

(٢) تثبت هذا التأكيد بإيجاب تبليغ رسالة الإسلام وإن يكون المسلمون شهوداً على هذا.

(٣) ينتهى الوجوب عند هذا - وليس فرض الإسلام لأن رسالة المسلم، ورسالة الإسلام - تقف عند التبليغ أما إيجاب الإيمان أو فرضه فهذا ما يخالف أصول حرية العقيدة فى الإسلام، وما تثبته قاعدة قبول الجزية - فى حالة الحرب، وانتصار المسلمين..

* * *

ولقائل أن يقول ألم يكن هناك طريقة أخرى لتبليغ رسالة الإسلام سوى الجيش ؟ فضلاً عن أن الجيش يتضمن أكثر من التبليغ - فنقول بعد أن كتب الرسول إلى الملوك، وبعد أن رفض الملوك لم يكن هناك طريق لإشعار المجتمع بأن هناك ديناً اسمه الإسلام يعرض على الشعوب إلا هذه الطريقة. لم يكن هناك إذاعات خارجية أو تليفزيونية أو صحافة أو إنترنت أو أى وسيلة للاتصال بالناس.. والطريقة الوحيدة الفعالة والمؤثرة والتى تدفع الملوك والحكام للتحرك هى الجيش.

على أن هناك نقطة دقيقة يجب إيضاحها ذلك أن الإسلام كما هو عقيدة دينية ، فإنه أيضاً عدالة دنيوية، وقيم حضارية، وقد استبعد الإسلام نهائياً فرض العقيدة الدينية بالقوة ليس لأنها تخالف طبائع الأشياء فحسب ولا لأنه لا قيمة لدين يكره عليه صاحبه ولكن أيضاً لأنه يخالف النصوص القرآنية الصريحة فى أن الله تعالى لو شاء لجعل الناس أمة واحدة وأن الهداية مردها إلى الله ﴿إنك لا تهدى من أحببت ، ولكن الله يهدى من يشاء﴾.

ولكن من ناحية أخرى فإن نظم الجبروت والطغيان والطبيعة التى قام عليها العالم القديم وبنى عليها الفرس والرومان نظمهم. هذه النظم التى سحقت الجماهير وقضت عليهم بالاستعباد وحرمتهم كما يقولون، الحقوق الأساسية للإنسان وكانت الحرب تعنى تدمير هذه النظم الطاغية وتحقيق العدل الإسلامى للجماهير، مع منحها حرية الاحتفاظ بدينها وفى نفس الوقت يكفل لهم الجيش الإسلامى الحماية مقابل تقديم جزاء لهذا، وهى «الجزية» التى اشتقت من مادة الجزاء.

هنا نجد أفضل صورة للعالمية، صورة تعرف الناس بدين يستبعد عبادة الأحبار - والرهبان والملوك والطغاة، ويعرض عبادة الرحمن الرحيم الخالق الكريم رمز القيم والمثل الغائبة والإيمان برسول أرسله الله رحمة للعالمين .. ولكن هذا العرض لا يعني، - كما أشرنا- الإجبار، أنه مجرد عرض، دور المسلمين فيه أن يكونوا شهداء عليه .

وفى الوقت نفسه فإن تطبيق القيم الإسلامية والنظم الإسلامية التى تقوم أساساً على العدالة وتستبعد كل صور الظلم والطغيان تحرر المجتمع وتفتح أبواب الحرية وآفاق المبادرات للأفراد جميعاً..

يتضح مما سبق أن للإسلام«عالمية» وضعها تطبيقاً لتوجيه القرآن ﴿ يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا أن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾ (١٣ الحجرات).

وهذه العالمية لا تقف أمامها حدود أو سدود وهى تنظر إلى الناس جميعاً دون تفرقة بين أبيض وأسود. ذكر وأنثى، والإسلام يجد من واجبه أن يعرف ناس هذه العالمية بالإسلام كعقيدة دينية وعدالة دنيوية وقيم

حضارية فالمسلمون هم حملة رسالة عليهم أن يبلغوها، وفى العهود الماضية لم يكن ذلك متيسراً بغير العمل العسكرى الذى يشعر الجماهير به، فضلاً عما يتمخض عنه من حرب، أو إيمان، أو موادعة تكون كلها لها آثار بعيدة المدى إن لم يكن فى إسلام هذه الأقوام فعلى الأقل تعرفهم على قيم الإسلام، وبالتالى ثورتهم على قيم الطغيان والجبروت.

ولكن العصر الحديث وضع فى أيدى الدعاة وسائل للدعوة والتبليغ أبعد مدى وأكثر أثراً من أى وسيلة أخرى، وأتصور أن هذه هى وسيلة المسلمين للدعوةوأنها هى البديل عن الجهاد الذى لم يكن له بديل من قبل.

فعالمية الإسلامية عالمية حضارية تقوم على أسس وقيم الإسلام الحضارية سواء كان فى مجال العقيدة أو فى مجال النظم.

ومرة أخرى قد يقول قائل. ليس فى هذا جديد فالمسيحية، يمكن أن تدعى مثل هذا الدور وهذا صحيح إلى حد ما لأن المسيحية والإسلام أخواعلات ، كما يقولون : أى من أب واحد وأمهات شتى ولا يستشعر الإسلام حساسية، إذا قامت المسيحية بتعميم قيم الحب والخير بين الناس جميعاً والفرق الوحيد أن الإسلام أكثر أحكاماً من المسيحية سواء فى عقيدة الألوهية الخالية من التعقيد الكهنوتى، أو فى النظم التى تقوم على العدل..

خلاصة القول أن الإسلام بطبيعته عالمى وإن عالميته تقوم على التعريف به، وما فيه من قيم وأن هذا يمكن أن يتم مع احتفاظ الأمم الأخرى بأديانهم لأن الإسلام وإن كانت عقيدة من ناحية فهو نظام فى ناحية أخرى وقاعدته العامة هى الآية ﴿ قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا

نعبد إلا اللـه ولا نشرك به شيئاً ولا يتخـذ بعضنا بعضاً أربـاباً من دون الله، فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون﴾

وهذه الآية هى التى تجعل الإسلام عالمياً، وتجعله فى الوقت نفسه يرفض العولمة المزعومة لأنها تجعل من قادة المجتمع الأوربى الأمريكى أرباباً من دون الله وتملى على شعوب جماهير العالم الثالث التسليم لها .

ذلك أن العولمة التـى يدعون إليها ليل نهار ليـس إلا الصورة الأخيرة من الهيمنة الأوربية على العالم .

وقد سبقتها عـولة «الإمبراطورية الرومانية» وما يطلـقون عليه «السلام الروماني» وكان سلاماً يقوم علي السيف الرومانى العريض الذى قهرت به الجيوش الرومانية الـعالم القديم وفرضت نفسها عليه وتحـكمت فيه تحكم فاتح يرى أن كل ما فى المدينة المفتوحة من أرض، ومال، وعقار وناس هم ملك له بحق الفتح ... .

وانطوت تلك الصفحة لتظهر صـفحة أخرى من العولمة الأوربية: عولمة تقوم علـى تقسيم العـالم بين الدول الأوربية طـبقاً لاتفاقات فـى مؤتمرات دولية وكان شـعار هذه العولمة وأداتها «الأسـطول البريطانى الـتى وصلت بوارجه إلى أقصى موانى العالـم وقصفت قلاعه.

واليوم تأتـى جولة جديدة فى المـعركة نفسهـا تأتى العولمة الـتى لا يكون سلاحها السيف الـرومانى العريض ولا الأسطول البريطانـى العتيد، ولكن التكـنولوجيا الـسحرية وما أوجدتـه من مَرَدة ، مثل الـكمبيوتـر، والأقمار الصـناعيـة، والتليـفزيون، وغـيره مما زلـزل المقومـات والقيم والـتقالـيد والخصوصـيات، ولم يجعـل هناك ما يمـكن أن يقف فى وجـه هذه المردة،

فالسموات نفسها مفتوحة أمامهم ، وفى الأرض غزوها غرف النوم فيها فى كل مكان من ؟ أجهزة التليفزيون ويتطلع الأفريقى فى غابته على إحدى الأزياء الباريسية وآخر المسلسلات الأمريكية.

والهدف الوحيد الذى تعمل له كل قوى العولمة هو أن يصبح العالم سوقاً واحداً مفتوحاً، دون جمارك أو حمايات، بحيث يمكن للمنتجات الأوروبية الأمريكية «المتلتلة» أن تجدلها مشترين، وأن يتم هذا على أنقاض الصناعات والمنتجات القومية التى لاتتمتع بمزايا المنتجات الأوربية الأمريكية. أما قضية الثمن فليست مشكلة. إذ يمكن التحكم فى عملات الدول كما يشاء تجار العملة.. كما يمكن اللجوء فى المرحلة الأولى إلى إسلوب الإغراق أولاً، أى النزول بثمن السلعة إلى ما دون التكلفة لفترة معينة تبور فيها كل السلع القومية، وتفلس مصانعها لتعود هذه الدول فترفع فى الأسعار كما تشاء، بعد أن انفردت بالسوق..

وتقوم الإعلانات فى الجرائد، وفى التليفزيون بحرب أعصاب حقيقية تحطم فيها مقاومة المستهلك بحيث تفصل السلعة بالمعلن عنها عن سلعته، بل يجد نفسه منساقاً لشراء السلعة المعلن عنها حتى ولو لم تكن رغبة الصحيفة.؟

وبهذه الطريقة ينقسم العالم إلى نخبة فوقية هم سكان الدول الأوربية / الأمريكية. ومستهلكين هم الدول الأخرى...

ولما كانت شعوب دول العالم الثالث لا تستطيع الشراء إلا عندما يتوفر لها عمل وتحصل منه على نقود، فإن العالم الأوربى / الأمريكى يدخر لها أدنى الأعمال وأقلها كسباً وأكثرها عناء، وبذلك يرفع عن نفسه القيام بهذه الصناعات والحرف أو بخس الأجور فيها - لأنه لا يريد بخس

الأجور فى بلاده وبهذا يكسب مرة أخرى ولا يؤثر فيه أن إنقاص الأجور فى العالم الثالث سيؤثر على قوته الاستهلاكية، لأن عددهم بمئات الملايين، ولأن إغراء السلع الجديدة، وتأثير الدعاية والإعلان تجعل عمال الدول النامية تخيف على غذائها وكسائها وثقافتها فى سبيل الحصول على التليفزيون الذى يشبع المتعة ويعرض ما يقوم بدوره فى الإشباع العاطفى حتى بدور الممارسة العاطفية.

وإذا كانت العولمة الرومانية تعتمد على السيف، وعولمة الاستعمار تعتمد على الأسطول، فإن لدى العولمة الحديثة ترسانة كاملة من الأسلحة، فبعد ظهور الآثار السيئة لاقتصاديات الشركات متعددة الجنسية أو عابرة القارات تلتمس الدولة مساعدة صندوق النقد الدولى الذى يتقدم «بوصفة» معروفة تتضمن تخفيض العملات، وتقليص الإعانات والخدمات الاجتماعية وخصخصة الشركات وترك آليات السوق حرة فى العمل، ويقدم الصندوق لقاء إجابة هذه الشروط معونات نقدية بفوائد متفاوتة، وما أن تتقبل الدولة ذلك حتى تجد نفسها وقد أصبحت أسيرة الصندوق لا تملك لنفسها شيئاً، فقد أطلقت عنان الرأسمالية التى لا تعرف إلا الربح والمنافسة القاتلة، وأسوأ شىء أنها تعجز عن سداد الديون وتتراكم الفوائد ويصبح هم الدولة تسديد الفوائد التى فاقت أضعافاً مضاعفة الدين الأصلي..

لقد أصبح واضحاً أن الهدف الرئيسى للعولمة المزعومة هو القضاء على سلطة وقوة الحكومة خاصة فى المجال الاقتصادي، بحيث تصبح الدولة تحت رحمة صندوق النقد الدولي، واقتصاديات الشركات الكبرى التى تزيد مالية إحداها عن عشرين أو ثلاثين دولة من دول العالم الثالث ، بحيث لا تستطيع أن تقدم شيئاً لشعوبها، أو تصد غائلة الرأسمالية الدولية

أو تعيينها فى محنتها لأن هذا كله يخالف مبادئ الاقتصاد الحر كما يزعمون.

ومن ترسانة العولمة الحديثة «العقوبات الدولية التى تفرضها» أمريكا باسم دول العالم على من تشاء طبقاً لمعاييرها الخاصة، فتترك إسرائيل تصنع مئات الرؤوس النووية وتضرب العراق ، والسودان لمظنة أن لها نشاطاً ودراسات نووية، وقد سلطت العقوبات الدولية على ليبيا، فلم تستطع مصر ، وهى أقرب الدول إليها أن تفعل شيئاً لها .

وكان وجود الاتحاد السوفيتى ومنظومة الدول الاشتراكية يعوق انطلاقة وحش العولمة، فلما تهاوى الاتحاد السوفيتى انفردت الولايات المتحدة وانفسح أمامها المجال لأسوأ صور الاحتكار والعربدة.

وأعتقد أن من الضرورى لمجموعة الدول الإسلامية أن تتكتل لمقاومة هذا الوباء، ولن تعجز من أن تجد حلفاء لها من الدول التى حاقت بها نقمة العولمة لوضع حد لهذا الابتزاز والتحكم والهيمنة.

القسم الثاني

الحلقة النقاشية

الخطوط الأولى لمواجهة العولمة

جمال البنا المفكر إسلامى
د. رفعت العوضى
أستاذ الاقتصاد جامعة الأزهر
د. سيد الدسوقى
أستاذ التكنولوجيا جامعة القاهرة
د. سيف الدين عبدالفتاح
أستاذ العلوم السياسية جامعة القاهرة
محمد إبراهيم مبروك
محمد مورو: الكاتب الإسلامى

محمد إبراهيم مبروك:

اختيار موضوع الحلقة حول الخطوط الأولى لمواجهة العولمة يحمل انتقالة فكرية لتجاوز الحوارات التقليدية السائدة حول الموقف من العولمة، حيث بات واضحاً على امتداد العالم الإسلامى أن أغلب الاتجاهات الوطنية التى شاركت فى الندوات والمؤتمرات العديدة التى عقدت حول موضوع العولمة قد ذهبت على العمل على مواجهة العولمة ورفض ما يروجه المغرضون من مقولات تذهب إلى أن العولمة واقع مفروض علينا، ليس أمامنا سوى الاستسلام له، ومن خلال هذه الحلقة النقاشية علينا أن ننتقل إلى خطوة فكرية واثبة إلى الأمام من أجل تحديد معالم الخطوط الأولى لهذه المواجهة فبعد أن أقتنع العالم الإسلامى بضرورة المواجهة صار السؤال الآن هو: كيف تكون هذه المواجهة؟

ونحن نضع مجموعة من المحاور التى من الممكن أن يدور حولها الحوار كخطوط أولى للمواجهة وهى محاور قابلة للأخذ والرد والحذف والإضافة وهذه المحاور هى:

* الارتكاز على الهوية الإسلامية.

* استقلال القرار السياسى لقادة الأمة سواء كانوا حكاماً أو معارضين.

* تحقيق النمو الاقتصادى التنموى المستقل الذى تستهدف أو لوياته غايتنا الحضارية بعيداً عن النموذج الإستهلاكى الغربى.

* تحقيق التكتل الاقتصادى والثقافى والإعلامى بين دول العالم العربى والإسلامى.

* تحقيق استراتيجية المواجهة الإعلامية والفكرية من خلال التقدم التقنى الإعلامى وإشعال الوعى الفكرى.

* تعبئة الشعوب بالروح القادرة على تقديم التضحيات التى تتطلبها مواجهة العولمة فى مراحلها الأولى من أجل تحقيق دعائم القوة المستقبلية لتقدم العالم العربى والإسلامى التى سيجنون ثمرتها بعد ذلك.

د. سيد الدسوقى: التنمية المستقلة

فى الحقيقة فإن موضوع التنمية يقع فى قلب عملية الاستقلال الوطنى، فلا استقلال وطنياً بغير استقلال تنموى والاستقلال التنموى لا يعنى الحرب على الآخرين، وفى اعتقادى فإن العولمة ليست كلها شراً محضاً قد يكون بها خير كثير ويمكن الاستفادة من هذا الخير إذا عرفت نفسى وعرفت ماذا أريد وعرفت ما الذى ابتغيه من هذا العالم المتربص بى فإننا إذا التجأنا إلى المرجعية الإسلامية هناك أهدف محددة للتنمية الاقتصادية فى القرآن الكريم تضع نظرية تنموية مستقلة.

يقول الله تعالى: «لإيلاف قريش إيلافهم رحلة الشتاء والصيف فليعبدوا رب هذا البيت الذى أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف».

وأول ما تبرزه هذه الآيات من مفاهيم أن الدولة يجب أن توجه الناس نحو التنمية عن طريق الإيلاف ويقول الإمام الألوسى فى تعريف كلمة الإيلاف: إنها الاجتماع والوئام، وهو ما يعنى السعى نحو العمل والقيام بالوظيفة مع الحب لا الإكراه.

ثم تتحدث الآيات عن غايتين أساسيتين للتنمية: الأولى هى الإطعام

من جوع فهى لم تقل إنه لم يطعمهم من ترف أو من شبع وإنما أطعمهم من جوع حيث إننا قوم لا نأكل حتى نجوع وقالت أيضا «وآمنهم من خوف» فلم يقل آمنهم من غفلة لأن الخوف يخالف الغفلة والتبلد وقد يكون الخوف صحياً أحيانا كالخوف على مجتمعك أو مستقبل أمتك فالجوع والخوف يناقضان الترف والغفلة وعندما كنت فى كالفورنيا فى أواخر السبعينيات سمعت أن الرئيس السادات وعد الناس أن يدخلوا السوبر ماركت بعد أعوام قليلة ويملأون السلال من مختلف المنتجات الاستهلاكية فى الوقت الذى كان يطالب به رئيس جمهورية إيران الشاب الدكتور حسن بنى صدر الناس بالتجلد وربط الأحزمة لمواجهة حصار القوى الخارجية فليس من حقى أن أعد قومى زخرف القول غرورا فيجب أن يكون للتنمية هدف أدرب نفوس الناس عليه هو جزء من العقيدة الإسلامية فأول عناصر التنمية هو القصد فكل شىء يجب أن يكون لك قصد فيه «وعلى الله قصد السبيل» والله هو الذى يحدد لنا مقاصد الأشياء ويروى أن رجلاً قتل عصفور فاشتكى العصفور إلى ربه فقال: قتلنى عبثاً ولم يقتلنى منفعه ولذلك كان قتال العصفور عبثاً حراماً أما قتله منفعة فهو حلال.

وثانى عناصر هذه التنمية هو الوظيفية فلابد من توظيف كل الأعمال التنموية فعندما أحاول أن أحل مشكلة المواصلات مثلاً فى بلد مثل مصر فلابد أن أهتم بوسائل النقل العامة ولا أغرق البلد فى سيل من العربات الخاصة فى مدينة مثل القاهرة شوارعها ضيقة وتكتظ بالزحام وعندما كنت هابطاً إلى مطار زيورخ استقبلنى أحد الأصدقاء وعرفنى يأحد الأشخاص وقال لى: هذا وزير المعارف وتوجهنا إلى المترو كما أن الجمال عنصر من

عناصر التنمية فالله يقول عن الأنعام: «ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون» وعد ذلك من نعمه علينا والقرآن يهتم بالجمال الطبيعى ويعود الناس على ذلك وأولادنا الآن لا يرون نتيجة الظروف التى صنعناها حدائقًا أو مشاهد طبيعية جميلة. وأنا أقسم التنمية إلى أنواع:

تنمية رخاء وتنمية بقاء وتنمية سبق فتنمية البقاء تتوافر موادها الأولية لدينا والمهارات التى تتطلبها بسيطة ولذلك فإن من السهل قيام الناس بها وتنمية النماء وهى أن تشعر أنك تعيش فى معاناة وتحتاج إلى وسائل التقنية الحديثة لتحسين المعيشة والخروج من المعاناة. وتنمية السبق أى أن أنظر دائما إلى وسائل السبق التى عندى كى أنميها لأغزو العالم من خلالها. والنقطةالمهمة هنا هى دور الدولة والفرد والجماعات فى العمل التنموى فدور الدولة يتحدد فى رفع الحرج عن الناس والتنمية من قبل الدولة تكون فى التخلية بين الإنسان وترابه الوطنى ليتفاعل معه فى ظل عقيدة وشريعة ونظام ليصنع طعامه ولباسه وشرابه وليست التنمية أن تفعل الدولة كل شىء ولكن عليها أن تعد الدراسات وتقسم الأعمال بين الناس وتقيم لهم البنية التحتية التى تهيىء للناس القيام بعملهم ودائماً أضرب للناس مثلا بأسلوب العمل فى الولايات المتحدة فرغم اختلاف الناس بين أو روبيين وبوذيين ومسلمين وغير ذلك إلا أن البرنامج التنموى قد وضعته الدولة بعناية شديدة والناس يندفعون إليه بروح الغريزة ويعملون اثنتى عشرة ساعة يومياً فالناس يحتاجون إلى روح التحدى والعطاء والقرآن يقول لنا «فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى» أى لابد من العطاء مع التقوى والتصديق بمثوبة ذلك.

أما دور المواطنين فيحكمه قوله تعالى: «أرأيت الذى يكذب بالدين.

فذلك الذى يدع اليتيم. ولا يحض على طعام المسكين. فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون. الذين هم يراءون ويمنعون الماعون» فلابد من التوازن بين الدخول المادية داخل الجماعات. واحتياجات الناس هى مسؤولية المجتمع بوجه عام.

القطب الأمريكى

محمد إبراهيم مبروك:

لقد قدم الدكتور الدسوقى تصوراً إسلامياً للتنمية وهذا من صميم موضوعنا ولكن بجانب هذا نريد أن نبحث عن كيفية العلاقة المتصورة لهذه التنمية بالواقع المعاصر فهذه التنمية لن تحدث فى فراغ، ولكن تحدث فى ظل صراعات مع قوى كبرى تعمل على السيطرة على العالم من خلال أليات العولمة.

د. سيف عبدالفتاح:

الواقع أن المنتصر دائماً يستطيع أن يفرض أفكاره على الناس وكانت نتيجة انفراد القطب الأميركى بموقع القوة فى العالم أخيراً أن برزت إلى الواقع الفكرى والسياسى فكرتان وهما: نهاية التاريخ وصراع الحضارات فهم يريدون من خلال ذلك أن يحددوا لنا مسار التاريخ وإلى أين يتجه وكيفية العلاقات بين الأمم وبعضها. وبغض النظر عن هذه الأفكار فإن الأمر فى مواجهة العولمة يرتبط بفقد الهوية لأننا غالباً ما يؤدى بنا الحديث حول مسألة الهوية إلى أن نتحدث وكأننا نعيش وحدنا ولا يعنى ذلك أن نخضع لغيرنا ولقوانينه التى يعمل على فرضها علينا ولكن علينا أن نتفهم حقيقة الواقع الذى يواجهنا أولا لأن جزءاً من صعوبة وفشل عملية التنمية

يأتى من استسهال تلك العملية والقرآن يقول لنا: «ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة» إذن فالأمر هنا يتعلق بمعادلة الخروج وهى تتعلق بطرفين: الإرادة والعدة فنحن نتحدث عادة عن عملية المواجهة كموقف ولا نتحدث عن فقه المواجهة فإذا تحدثنا عن هذا الفقه لابد أن نجيب على أربعة أسئلة هى: من نواجه؟ وكيف نواجه؟ ومتى نواجه؟ وأين نواجه؟.

فالمسألة تتعلق بالزمان والمكان والهدف وطبيعة الطرف الذى نواجهه والتشابك بين هذه الأمور جميعاً يصنع فكراً للمواجهة يستطيع أن يصنع ذلك على نحو مرحلى فى إطار يتعلق بالدائرة الإيجابية أى فعلنا نحن ثم بعد ذلك البحث فيما يتعلق بعمليات المواجهة.

وفى هذا تحضرنى الأصول الخمسة التى تحدث عنها أئمة الشرع وهى المتعلقة بحفظ الدين وحفظ النفس وحفظ النسل وحفظ العقل وحفظ المال وأظن أن المحاور التى تحدث عنها الأستاذ محمد مبروك والمتعلقة بالهوية الحضارية الإسلامية واستقلال القرار السياسى ووضع أسس التنمية الإسلامية المستقلة والتكتل العربى الإسلامى والتطور الفكرى والتقدم التقنى. كل ذلك يدخل فى إطار هذه الكليات الخمسة أيضا وأنا أؤيد ما قاله الدكتور الدسوقى عن حاجتنا إلى فقة الاستمرار فالواقع الراهن الآن يعمل على تغييب عقل الإنسان وهذا ما يدخل فى إطار الأصول الخمسة لأن من فقد عقله فقد دينه وفقد نسله ونفسه وماله، فإعادة تشكيل البناءالعقلى هى مدخلنا الأساسى لمواجهة العولمة لأننا من خلال ذلك نستطيع أن نستنفر الناس ذهنياً وعقلياً وحركياً إلى تلك المواجهة.

وما يجب أن يكون واضحاً لدينا هو الموازنة بين معادلة الممكن والإمكان

والتمكين لأننا عند مواجهة التحديات قد نضيع الممكن فى سبيل المستحيل وكأننا نتصور أننا فوق قمة الجبل ونبدأ دائماً من قمة الجبل دون عدة أو إعداد ومسألة الانتقال من الممكن إلى الإمكان ثم تحول ذلك إلى التمكين يدخل فى إطار البحث عن القدرات الحقيقية لكياننا ثم تعبئة وتنمية تلك القدرات واستثمارها بما يحقق عملية التمكين.

وفى هذا السياق علينا أن نؤكد أن الاستنفار لابد أن يصحبة العطاء والقدرة على الفعل ولذلك فإن التربية العقيدية الجهادية هى الأساس الذى لابد أن ننطلق منه إلى كل هذه الأمور. إن عقيدة لا تدفع ليست من الإسلام فى شىء وشريعة لا تدفع ليست من الإسلام فى شىء ولابد أن نؤسس علما للسنن القاضية لأن هذه السنن تعطى من أمن مثلما تعطى من كفر لأننا أحياناً نتحدث وكأننا نضن على الله بالإيمان فنقول كيف رفع هؤلاء وهم كفار ونحن فى هذا الوهن والضعف؟ فالسنن هى التى تحكم هذا وذاك.

الدكتور سيد دسوقى:

إن أمر المواجهة يتعلق بالإنسان قبل أى شىء فاستنفار هذا الإنسان هو الذى يعطيه القدرة على مواجهة كل التحديات وأنت إذا أردت المواجهة فليس عليك الاندفاع إلى الدخول فى صدامات وإنما عليك أن تضاعف إنتاجك. والعمل السياسى الحقيقى هو الذى يربى الناشئة على العمل على مضاعفة الإنتاج. إنك قد تندهش إن القوى الإنتاجية فى مصر لا تستثمر على كافة المستويات ولقد عقدت ندوة لأشهر المكاتب الاستشارية الهندسية فى مصر فوجدنا أن هذه المكاتب لاتتدخل فى أكثر من ٥٪ من العمل

الاستشارى فى محال الاستثمار بينما يتم الاعتماد الأكبر فى ذلك على الخارج فكيف من الممكن أن نستطيع المواجهة ونحن نعتمد على العقول الأجنبية فى كافة أمورنا. حتى فى أبسط الأمور مثل الصرف الصحى فإننا نعتمد على الفرنسيين واليابانيين فى التخطيط المدنى لذلك.

الأستاذ جمال البنا:

العولمة ليست جديدة فقد جاء وقت حكم فيه الرومان أغلب العالم القديم وفرضوا عليه قوانينهم ونفس الأمر قد حدث بالنسبة للإنجليز فى العصر الحديث وما يحدث الآن ليس نهاية التاريخ وإنما هو التجربة الأخيرة حتى الآن للعولمة وهى صورة تختلف عن صور العولمة السابقة من حيث المعنى الحضارى فعلى الرغم من كونها تعتمد على قوة السلاح إلى حد ما أيضا ولكنها ترتكز فى الأساس لاعلى مجرد الهيمنة ولكن على إذابة مشخصات كل الشعوب وخصائصها وهو يأتها لكى تتفق مع الصورة الغربية الأميركية فنحن الآن أمامنا الآن ثلاثة تحديات:

قوة السلاح وهم يتفوقون علينا فى ذلك تفوقا كبيراً ولكن حتى لو امتلكنا هذا السلاح فليس هو الشرط الوحيد للمواجهة لأن استخدام السلاح الآن لم يعد أمراً هيناً بل إن قوة السلاح قد تهزم من قوة أقل كما حدث بالنسبة لروسيا فى أفغانستان والشيشان.

ولكن التحدى الحقيقى هو المتعلق بقضية التنمية لأنها قضية متعلقة بالشخصية الحضارية والتحدى الحضارى.

فقد كانت هناك بعض مفاهيم خاطئة حول هذا الموضوع فى ظل الفكر الاشتراكى حيث غدى من المتصور آن التنمية تتعلق بالقيام بعمل

الصناعات الثقيلة فتم إنشاء الأفران الضخمة دون النظر إلى مدى القدرة على استمرار مدها بالمواد الأولية ولا إلى الأسواق التى تتجه إليها فى ظل المنافسة الدولية ولذلك فلابد من التخطيط الدقيق قبل الاتجاه إلى المشروعات الطموحة، لقد كان لأجدادنا أنواع من التنمية قد تثير سخريتنا ولكن أهمية هذه الأنواع التنموية هى فى واقعيتها لأن التكيف مع الواقع هو الشرط الأساسى للتنمية المستهدفة وقواعد العولمة الجديدة المتمثلة فى الانفتاح الاقتصادى العالمى تحيل العالم إلى سوق عديم التكافؤ وكأن الأمر داخل حلبة صراع بين أشخاص هزيلة ودينا صورات فهم يتفوقون تكنولوجياً واقتصادياً تفوقا كاسحاً ومن ثم فلابد أن تتجه خططنا الاقتصادية إلى الاكتفاءالذاتى فلابد أن نعتمد على أنفسنا فى إنتاج كل مستلزماتنا الحياتية وحتى إذا حدثت عملية إغراق فإن ذلك يتطلب فى الأساس الارتكاز على الإيمان لأن عملية التنمية هى عملية حضارية شاملة وعملية إيمانية فى الأساس لأن فكرة إنها عملية حسابية يناط القيام بها للخبراء والفنيين هى فكرة شديدة الزيف فرغم التقدم التقنى الكبير للاتحاد السوفيتى لكنه فشل فى النهاية لفقدانه تلك الروح الإيمانية. إن ما يفعله الرئيس مبارك الآن من مشروعات هى مشروعات غاية فى الأهمية ولكنها كانت تتطلب المشاركة الشعبية من الخبراء فى كافة المجالات واحتياجنا إلى ذلك ليس فقط من أجل الوصول إلى القرار السليم ولكن أيضا لضمان المشاركة فى هذه المشروعات العملاقة ولابد أن نتفهم أن هذه التنمية هى رمز عزتنا ورمز استقلالنا وكرامتنا وأن التنمية فى هذا العصر هى الجهاد الحقيقى وهو جهاد تحت لواء الإسلام تشترك فيه الجماهير من وضع الخطة حتى تطبيقها حتى تقييمها ومن هنا يكون لها النجاح فلابد من الجانب

الايديولوجى للتنمية لكى نتمكن من مواجهة إغراء السلع الأجنبية فليس لنا سوى هذا السلاح أمام هذا الإغراء.

إننا فى خلال السنوات القادمة سنجد مئات بل ألاف القنوات الموجّهة إلينا مباشرة وكلها تعبر عن حضارة واحدة تعمل على الغزو الحضارى للشعوب وهى الحضارة الغربية وهى حضارة لا تحمل سوى قيم القوة والاستمتاع والصراع وليس بها معنى للرحمة أو للخير. والشخصية المسلمة تتعرض لأن تتأكل وتذوب أمام هذا الغزو الكاسح ما لم تتحصن بالإيمان فالإيمان هو خط الدفاع الوحيد والأول والأخير وليس هناك خط دفاع غيره.

كما أننا لن نستطيع مواجهة تلك التحديات إلا إذا فهمنا الإسلام فهماً حقيقياً فلابد أن تُبث فى الفكر الإسلامى روحٌ جديدة هى فى الحقيقة ليست ابتداعاً جديداً وإنما هو عودة إلى إسلام محمد ﷺ وليس إسلام الفقهاء فلابد من تنحية كل ما يفصل بيننا وبين القرآن وسنة محمد ﷺ من فقه ومذهبية لأننا من خلال تلك المذهبية لم نعد نستمد ديننا من أصوله الحقيقية ولكن من التراث والتقاليد فالإسلام الذى أنزل على محمد من جديد.. الإسلام القوى.. الإسلام الحضارى.. الإسلام الفعال.. الإسلام الخير ومن هذا الإسلام نستطيع أن نستمد الخير ومن هذا الإسلام نستطيع أن نستمد الإيمان القادر على الانتصار فى معارك المواجهة التى نخوضها.

محمد مبروك:

أحب أن أؤكد على المقولة التى قررها الأستاذ جمال البنا فى كلمته وهى حاجتنا إلى فكر إسلامى جديد لأن الفكر الإسلامى الحالى قاصر عن

مواجهـة تحديات ومتطـلبات المرحلـة فنحن نحـتاج إلى الفكـر الإسلامى القادر عـلى استيـعاب المتغيـرات الحضارية والـرؤى والتصورات الـغازية وتقديـم البديل الحضـارى المستخلـص من تفاعـل الحقائق الإسلامـية مع الواقع ولذلك فإن الـشرط اللازم والضرورى للتقدم الحضـارى هو التطور الفكرى لـيس فقط فى وعى النـخبة ولكن أيضا فـى الطليعة من الجـماهير وذلك من خلال تعبئة الجماهير بمستـخلصات هذا التطور الفكرى فهذا هو الطريـق لكى أستـطيع أن أصنـع جماهيـراً قوية قادرة عـلى المواجهـة ولها علاقاتها الوثيقة بالنخبة من أجل صناعة تيار شعبى واع متفاعل مع الواقع يستطيـع أن يستوعب كل ما يطـرحه القادة من أفكار لمواجـهة كل الأخطار والتحديات المفروضة.

د. رفعت العوضى:

العولمة التى نواجهها هى المرحلة الأخيرة للنظام الرأسمالى العالمى وهناك خلط بحدث عندما بين القوة الاقتصـادية والنظام الاقتصادى فليس شرطاً لوجود القوة الاقتصـادية أن يكون نظامها الاقتصادى سلـيماً وعلى الرغم من سقوط الأنظمة الاقـتصادية الاشتراكية ولكن العالـم لم يسلم مع ذلك بصحة النظام الرأسمالى والبلاد التى سقط بها النظام الاشتراكى كانت أقل البلاد استجابة للنظام الرأسمالى فالانتخابات التى تحدث الآن فى كل دول الكتلة الشرقية السابقة يفوز بها الاشتراكيون عادة بل إن دول أوروبا الغربية نفسها فرنسا وألمانيا وبريطانيا وغـيرها فإن الأحزاب الحاكمة فيها جميعاً إما أحزاب من اليسار أو أنها أقرب إليه من اليمين مثل الوسط أو يمين الوسط وكل هذا يعـنى أن العالم لم يـقبل الرأسمالـية ولـم يسلم بـها بل إن الأزمة التى يشهـدها العالم فى الكثيـر من المناطق هى أزمة الرأسمـالية وما حدث

للنمور الآسيوية هو فى حقيقته أزمة الرأسمالية وعندما تتفاوض المنظمات الاقتصادية الموجهة أمريكيا مع الدول النامية وكذلك فى المؤتمرات العالمية التى تعقدها الدول الغربية تلك مع الدول فإن الإلحاح لايكون إلا على توجه البلاد إلى الإصلاحات الاقتصادية والتى تترك البلاد مفتوحة لحركة الاقتصاد العالمى وهذا يعنى فى حقيقته إفلاس الرأسمالية كنظام جاذب لتوجهات الشعوب وما يحدث فى عالمنا العربى من تسليم تام بمزايا الرأسمالية وهو حالة خاصة بنا دون دول العالم أجمع.

مشاركة الشعوب

ولذلك فإن وضع الرأسمالية موضع تساؤل أصبح يعطى المشروعية لوضع نظام اقتصادى جديد والنظام الاقتصادى الوحيد المرشح لأن يكون بديلاً للنظام الرأسمالى هو النظام الاقتصادى الإسلامى وليس مايطرحه هنتجتون فى كتابه «صراع الحضارات» عن المواجهات بين العالم الإسلامى والغرب هو الحقيقى لأن مصدر الخوف الغربى هو النظام الإسلامى نفسه وتحديه للنظام الرأسمالى الذى وضع موضع شك منذ الإعلان عنه فى بداية التسعينيات كنظام عالمى وحيد.

وعندما نتحدث عن النظام الإسلامى فإننا لابد أن نتحدث أولاً عن دور الدولة فيه وأزمة النمور الآسوية الأخيرة هى فى الأساس أزمة لدور الدولة لأن الدولة لو كانت موجودة فى الاقتصاد لما استفحلت الأزمة إلى هذه الدرجة وكان يمكن مواجهتها فى مراحلها الأولى والإسلام يطرح نفسه طرحاً محدداً فيما يتعلق بقضية دور الدولة وبالنسبة للناحية الاقتصادية على وجه الخصوص فإن الإسلام ضد إلغاء دور الدولة بأى حال من

الأحوال وإذا طبقنا ذلـك على التجربة الآسيوية نجـد أن الإسلام ليس ضد البورصة ولكن هناك نوعين من البورصة: نوع يتم بها بيع المعلوم ونوع يتم بها بيـع المجهول والإسلام ضد بيع المجهـول هذا ومشكلة النمـور الآسيوية أنها دخـلت تلك المنطـقة مخالفـة بذلك تعاليـم الإسلام فالإسلام كيـفما تصعـد يطرح نفـسه بكفـاءة ولو أننا أخـذنا بقواعـد البيع فـى الإسلام فى البورصة ما أخذتنا البورصة إلى تـلك الأزمة وما تحولت البورصة إلى هذا الوحش الكاسر.

ومن ناحيـة أخرى فلابد من مشاركة الـشعوب فى المشاكل الاقـتصادية فهناك كاتب من أهم المـؤثرين فى تشكيل العقلية الأميـركية يدعى نموركى كتب كتابا سماه «الآمال قد تحدث» فى هذا الكتاب جعل الفصل الأول عن نظرية مالتس وتتحدث هذه النظرية عن ضرورةالتخلص من القدر السكانى الزائد بكافة الوسائل الشرعية وغير الـشرعية وقد طبق الغرب تلك المفاهيم تطبيقاً دقيقاً على الشعوب وإلا كـيف تفسر المجاعات التى تجتاح الشعوب الآن فى الوقت الذى يلقـى فيه الغرب الفائض من طعامه فـى البحر. لكن الإسلام حدد المشكلة الاقتصادية فى **الإعمار مع عدالة التويع** فالواجب الاقتصادى لـلإنسان فى هذه الأرض هو أن يعمـرها ولقد تضمنـت مقدمة ابن خلدون نظرية إنـتاجية إسلامية مؤسسة على الجمـع بين الإعمار وعدالة التـوزيع وأنا أقول إن دول الـعالم الـتى حققـت أكبر قـدر من التقـدم قد حققت فى نفس الوقت أكبر قدر من عدالـة التوزيع وتشهد الدول المتخلفة اختلالاً كبيراً فى سوء التوزيع لكن النظـام العالمى حدد المشكلة فى المشكلة السكانيـة ومؤتمر السكان فى القاهرة كـان الترجمة الحقيقيـة لذلك الموقف

الذى يتبناه النظام العالمى الجديد والنظام العالمى استخدم الأمم المتحدة كأداة من أدواتة لفرض سياساته.

الكيانات الكبرى

وهناك مدخل أخر للنظام العالمى الجديد هو مدخل الكيانات الكبرى فدول أوروبا الغربية الآن أى ست عشرة دولة تتجمع كلها فى كيان اقتصادى واحد وهناك برنامج موضوع لكى تلحق بها دول أوروبا الشرقية أيضا لتصبح أوروبا كلها كيانا اقتصادياً واحداً.

وتتجمع دول أمريكا وكندا والمكسيك فى كيان واحد وتسعى الولايات المتحدة أن تجمع دول أمريكا الجنوبية مع دول أمريكا الشمالية فى كيان اقتصادى واحد وهناك حركة اندماج كبيرة الآن بين بنوك العالم لأنهم عرفوا أن العالم الآن عالم الكيانات الكبرى والمنافسات الاقتصادية الكبرى وليس هناك بديل أمامنا سوى الدخول فى تكتل اقتصادى يجمع كل الدول العربية والإسلامية وهذا ليس حديث خيال فإن ما هو قائم بالفعل من هيئات مثل مؤتمر العالم الإسلامى يصلح أن يكون البداية لذلك التكتل.

جمال البنا:

فى الحقيقية فإن مؤتمر العالم الإسلامى هو مؤتمر حكومات وكثير من الأنظمة قد تكون فى ذاتها هى العقبة فى سبيل توحد الشعوب وانطلاقها إلى الأهداف الكبرى ولذلك فأنا أتصور أنه ينبغى الإعداد لعمل تكتل جماهيرى بين هذه الدول بصرف النظر عن موقف الحكومات. فالشعوب هى المناطة فى الأساس بسياسة الإنماء والتكتل والمواجهة وليست الحكومات القائمة.

محمد إبراهيم مبروك:

إن هذا ما يؤكد ما أشرت إليه من أهمية أستقلال القرار فى عالمنا العربى والإسلامى من أجل مواجهة التحديات لأن كل خطط المواجهة ستذهب عبثا إذا لم نملك القرار السياسى المستقل.

الدكتور محمد مورو:

من وجهة نظرى فإن العولمة ليست فكرة ولا أيديولوجية ولا فلسفة وإنما هى تعد شكلاً من أشكال أو أطوار الرأسمالية العالمية ومع ذلك فإن العولمة التى تمثل الحضارة الغربية بينها وبين الإسلام صراع كبير. وهى تريد أن تتعامل مع الإنسان كفرد مقطوع الجذور والصلة بينه وبين أى انتماء إلى أى دين أو قومية وهى تريد أن تتعامل مباشرة مع وكلائها من السماسرة ولذلك فهى تعمل على إلغاء الحكومات وإبدالها بالكيانات الصغيرة وفى النهاية تعبر عن تطور ألة الشر الرأسمالية فإن تطورها سيمضى بها إلى الإفلات من زمام الغرب نفسه لكى تعمل بتلقائيتها الذاتية وتلغى الإنسان الغربى نفسه فى النهاية ويصبح العالم أجمع تحت سيطرة مجموعة من مبرمجى الكمبيوتر ومراكز المعلومات وبعد ثلاثين عاماً مثلاً قد يصبح العالم أجمع خاضعاً لتلك الآلة.

ولأن الاشتراكية فشلت والرأسمالية تبرز مظاهر فشلها الآن فإن العالم يحتاج إلى المنظومة الحضارية الإسلامية وتلك المنظومة لا تجمع فقط العرب والمسلمين ولكنها تجمع المستضعفين فى العالم أجمع لأن العالم بالفعل أصبح قرية صغيرة فى ظل تقدم الاتصالات.

وما يجب أن نسعى إليه الآن قبل فوات الوقت هو عمل المنظومة التى

تجمع كـل ضحايا الرأسمـالية فى العالـم وإعلام شعوب العالـم أجمع أن الرأسمالية تقودهم إلى كارثة على كل المستويات.

ولأجل أن نصنع ذلك فنحن نحتاج إلـى فقه جديد أسميه «فقة الإقلاع» وأقصد بـذلك الإقلاع من حالة الـهزيمة الحضاريـة التى نقع فيـها. وأنا إذا أردت البناء والتنمية فعلى أن أبنى الشعوب وأنميها أولاً لأن الإنسان وحده هو الـقادر علـى المواجهـة وحتى لـو استـطعت أن أبـنى المصـانع الكـبرى فسأكون مهدداً بضرب الغرب لها فى أى وقت أما إذا زرعت فداناً فالغرب لا يستطيع أن يمنـع المطر. فالمطلوب على المستوى العام أن نـصنع المنظومة الأيديولوجية الحضارية للمستضعفين فى الأرض ونقول لهم هذا هو النظام البديل. وعلى المستوى الخاص ندعو إلى الاكـتفاء الذاتى إنتاجاً واستهلاكاً ولايعنى ذلك أننى ضد التقدم بل إنـنى لابد أن أكون مع التقدم لأنه آلية من آليات المواجهة ولـكن أريد أن أركز على ما استطيعـه والمحدد فى الاقتصاد البسيط وغير الـتابع والذى لا يرتبط بالسوق العالمية وفـى مقابل هذا هناك عقليـة أخرى مثل عقلـية الحكومات والأحزاب فـإنها تريد أن تنـافس من خلال الكـمبيوتر ومـن خلال تحكم النـظام العالمى فى الدسكات وشـبكة الإنترنت فإن ما تملكه أنت نفسك من معلومات لن تتحكم فيه وذلك فلابد من التخلص من تلك العقلية الـتابعة للأدوات والآلات وأيضا من التفكير النمطى فأنـا لا أعيش فى عالم الرسول ﷺ ولا فى عالـم الـسيادة الحضارية الإسلامية وإنما فى عالم تحكمه بالفعل قوة واحدة ولذلك لابد أن أن نعترف إننا فـى حالة هزيمة حـضارية وأنطلاقاً مـن ذلك فإن علينـا أن نعد أدوات الضعفاء والمـهزومين فى المواجهة ولا نـعتمد على أدوات غيرنـا فلو كانت

السودان مثلا صنعت ألف مصنع صغير بدلاً من مصنع الشفاء الكبير الذى ضربته أمريكا لاستعصى ذلك أن يكون هدفا لضربها.

محمد مبروك:

دائماً الدكتور مورو يشكك فى الاعتماد على القوة العسكرية فى ردع الأعداء ولهذا فأريد أن أعلم ما هو تعليقة على ما صنعته القوة الإيرانية من ردع خصوصاً بعد إنتاجها للصاروخ «شهاب٣».

د. محمد مورو:

فى الحقيقة فإنه قد يحدث علاقة طردية بين قوتك العسكرية وضعف قدرتك على المواجهة فكلما ازدادت آلتك العسكرية ازدادت ضعفاً لأنه مع عدم وجود الروح الإيمانية الجهادية فإن خوفك سيزداد على الآلة العسكرية التى تملكها ولذلك ستفضل المساومة على المواجهة.

محمد ابراهيم مبروك:

ولكن هذا لاينفى تلازم الأخذ بالأسباب مع الروح الإيمانية الجهادية وكما قال الله تعالى: «وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لاتعلمونهم ولكن الله يعلمهم». فنص الآية صريح فى أثر قوة الإعداد فى الردع وذكر رباط الخيل هنا له دلالته على الإعتداد بالتسليح بوجه عام ويشهد الواقع أن التقدم التقنى العسكرى لإيران وباكستان كان له أثره الكبير على ردع أعداء الأمة.

د. رفعت العوضي:

لابد ألا نخدع أنفسنا فإن عصر الحصول على التكنولوجيا من الغرب قد انتهى فليست هناك استفادة من هذه التكنولوجيا إلا بتصريحات غاية فى الخنوع ومن ثم لابد أن نشمر عن ساعد الجد لنبتدع تكنولوجياتنا ونطورها بأنفسنا إن لدينا العقول القادرة على الإبتكار فى مصر وماليزيا وأندونيسيا وباكستان وإيران والأمر لايحتاج سوى المزيد من التعاون لنستطيع أن نبتدع تكنولوجياتنا بأنفسنا من خلال إدماج تلك العقول.

الفهرس

التجهيزات الفنية:
جهاد للطباعة والنشر والتوزيع
٢٦ ش إسماعيل أباظة ـ بجوار محطة مترو انفاق «سعد زغلول»
لاظوغلى ـ الدور الخامس ت: ٣٥٦٤٧٨٣

*** كتب لمحمد إبراهيم مبروك**

١ـ أمريكا والإسلام النفعى

٢ـ علمانيون أم ملحدون

٣ـ تزييف الإسلام

٤ـ كن قوياً بالإيمان

٥ـ الصراع حول المادة وجوهر الحياة

٦ـ مواجهة المواجهة

٧ـ موقف الإسلام من الحب

٨ـ أنت أعطيت البراءة لقاتلينا (ديوان شعر)

٩ـ الإسَلام والعَولمة (مع آخرين)

١٠ـ البديل الإسلامى العالمى

*** كتب تحت الإعداد للطبع**

١١ـ الإسلام والغرب الأمريكى فى عصر العولمة

١٢ـ نظرية الفن الإسلامى

١٣ـ موقف الفكر الإسلامى من ابن رشد وفيلم المصير (مع آخرين)

١٤ـ موقف الإسلام من الأراضى الزراعية

١٥ـ القاهرة الآن (رواية)

١٦ـ دمى على يديك (شعر)

١٧ـ من أجل من أهدرت دمَكْ (شعر)

١٨ـ الصراخ ضحكا (شعر)

(١٩) كليوباترا (ألام أنطونيو البشعة) (شعر)

(٢٠) خمسة دواوين من الشعر والنزيف لم يقف (شعر)

(٢١) الرحيل والذبيح (شعر)

(٢٢) أثقل من نيران الأرض ذاكرتى(شعر)

(٢٣) صنعت من حياتى قصيدة عشق لك (شعر)

(٢٤) المجنون والحلم (قصص قصيرة).



■ العولمة هي تعاظم شيوع نمط الحياة المادي الاستهلاكي الغربي وتعاظم آليات فرضه سياسيا واقتصاديا وإعلاميا وعسكريا بعد التداعيات العالمية التي نجمت عن انهيار الاتحاد السوفيتي وسقوط المعسكر الشرقي. وعلى ذلك فإن العولمة تكتسب عالميتها من مدى اتساع قدرتها على فرض هذا النمط على الشعوب وليس على أساس كونها واقعاً فعلياً يحيط بالشعوب والبلدان. وعلى الرغم من الأهمية البالغة لتحليل الاقتصاديين للمسألة فإن أخطر ما في الموضوع هو أن طرح القضية على أساس كونها مجرد صراع حول المصالح الاقتصادية يمثل تغييباً لوعي الشعوب الإسلامية على وجه الخصوص لأنه ينطوي على مصادرة مبدئية فحواها أن المسألة المتنازع عليها لا تعدو كونها خلافاً في التشكيل النسبي لتلك المصالح المتنازع عليها داخل إطار التطور المادي للوجود. والسؤال المطروح الآن هل يقبل الإسلام العولمة على التراضي وتوقيه من تبعاته الاقتصادية المدمرة؟

■ إننا لكي نجيب على هذا السؤال يجب أن ننتقل إلى طاولة بحث أخرى.. هذا إذا لم نقلب تلك الطاولة التي يدور البحث عليها حول التفاوض على مكاسب أو خسائر تعميم النموذج الاستهلاكي الغربي لأن المنظور الإسلامي أكبر اتساعاً وشمولاً من ذلك الإطار المادي الضيق الذي تسعى العولمة في نطاقه والغايات الإسلامية التي تنطلق من هذا المنظور تتجاوز تلك الغايات المادية الاستهلاكية إلى غايات أرحب تواصل الدنيا بالآخرة وتستوعب الأبعاد المختلفة للإنسان المادية والروحية معاً

محمد إبراهيم مبروك

الـــدار القوميـــة العربيـــة

دار جهات للطباعة والنشر والتوزيع